جامعة عبد الرحمن ميرة- بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات في النّص الأدبي القديم

السنة الأولى ليسانس

إعداد الدكتور: عمر قلايلية

السنة الجامعية: 2019-2020

مفردات المقياس

1-الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا.

2-المعلقات مضامينها وأسلوبها.

3-شعر الصعاليك.

4-الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات.

5-المراثي النبوية.

6-شعر النقائض.

7-الشعر العذري والشعر العمري.

المحاضرة الأولى: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا

1) الحيز الجغرافي والثقافي للشعر الجاهلي:

نشأ الشعر العربي القديم في منطقة الجزيرة العربية، حوالي (200) مائتي سنة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي البلاد الواقعة في أقصى الجنوب الغربي من القارة الأسيوية، يحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب خليج عدن والمحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي، ويحدها من الشرق والغرب والجنوب سلسلة من الجبال البركانية، كما تتوفر المنطقة على سهول وسواحل تختلف من حيث الاتساع والضيق، وبها هضبة داخلية تعرف بالربع الخالي والنفوذ الكبرى والدهناء وهضبة نجد.[1]

نشأ عن هذا التنوع في التضاريس الجغرافية تنوع في المناخ، دفع بالعرب إلى تنويع نشاطاتهم وأساليب حياتهم وعيشهم، حيث عرفت بعض المناطق ممارسة الزراعة وهذا راجع إلى استقرار أهلها، وعرفت مناطق أخرى بالتنقل واتخاذ الرعي مهنة، سعيا منهم للتغلب على ظروف الحياة القاسية، بالإضافة إلى نشاطات أخرى مثل صناعة اللباس الخاص، وتربية نوع معين من الحيوانات، تتقدمها الإبل والجمال لقدرتها على تحمل أعباء الصحراء، ومشاق السفر الطويل، واتخاذ الخيام مسكنا لهم لسهولة ترتيبها وحملها كلما دعت الحاجة للتنقل.

كما وضع العرب جملة من القوانين والنظم لتحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقرار، فاتخذوا من القبيلة شريعة ودستورا، يجمعهم تحت سقف الولاء والتعصب لنظام القبيلة

[1]– ينظر عفيف عبد الرحمن: **الشعر الجاهلي: حصاد قرن**، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2007، ص 18.

الواحدة، ممّا ساعدهم على الاجتماع، وقد كانت: «العصبية ضرورية لتثبيت الاستقرار في حياة القبيلة، لأن قوتها في بطن من القبيلة يجعل القبيلة تسلم أمر قيادتها إلى تلك العصبية، وبالتالي فإن نظام القبيلة السياسي يبقى مستقرا، ويبقى الحكم في يد تلك العصبية إلى أن تجد عصبية أقوى منها، وعندما توجد أكثر من عصبية قبلية قوية تنقسم القبيلة إلى أقسام صغيرة، تستقل كل منها بإدارة شؤونها، وقد يؤدي تضارب مصالحها واشتباكها إلى اختلافها وتحاربها»[1]، ونجد في أشعار العرب من الشواهد ما يؤكد تعصب الفرد وولائه لقبيلته، كقول **دريد بن الصمة:**

وما أنا إلاّ من غزية إن غوت * غويت وإن ترشد غزية أرشد**

2) الشعر في الجاهلية:

يعرف الشعر الجاهلي على أنّه الشعر الذي نظم وقيل وتمت روايته قبل ظهور الإسلام، ويضم قصائد الفحول من الشعراء، التي اشتهرت بالمعلقات، كما نظم الشعراء قصائد ومقطوعات تعبر عن الحياة الجاهلية كتلك التي نظمها الشعراء الصعاليك.

يعتبر شعر هذه المرحلة أفضل ما يعكس لنا صورة الحياة الجاهلية بوضوح، فقد اتفق معظم الدارسين أن العرب لم تهتم بشيء من موروثها كاهتمامها بالشعر، لما وجدت فيه من أهداف ولما حقق لها من غايات ومقاصد، ذلك لأن: «الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية، والصورة الصادقة لحياة العرب وتقاليدهم ومثلهم، فيه من القيم الفنية والصور الجميلة الرائعة والمعاني الدقيقة الموحية ما يجعله يعد بحق ذروة الشعر العربي، وقد كان القدوة المثلى التي يحتذيها الشعراء في العصور الأموية والعباسية، يسعون إلى تقليده ومحاكاته، وقد بقي أثر الشعر الجاهلي واضحا في شعر العصور المتأخرة، وما زال سلطانه في نفوس قارئيه

[1]– عفيف عبد الرحمن: **الشعر الجاهلي: حصاد قرن**، ص 45.

وسامعيه، بما فيه من أصالة وجمال في التعبير، ودقة في المعاني، ونضج فني وموسيقي ولغوي كبير»[1].

ويشير **ابن سلام الجمحي** في هذا السياق إلى هذا الموقف في قوله: «وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون»[2]، ويؤكد **أبو هلال العسكري** هذه الحقيقة في قوله: «...كذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها، مستنبط آدابها ومستودع علومها»[3].

ترك الشعر أثرا ثقافيا واضحا في العرب، فقد ساعدهم على توحيد طباعهم وعاداتهم ومثلهم، كما عمل على صقل لغتهم وتوحيد لهجاتهم، ويمكن عدّ هذه الميزة أسمى غاياته، إضافة إلى تأثيره الاجتماعي بحيث ساهم في نشر مكارم الأخلاق كالكرم وحسن الضيافة والإغاثة والنجدة والرفعة وحماية العرض والقبيلة، وفي تاريخ العرب ما يؤكد صلتهم العميقة بالشعر، كما حدث مع بني أنف الناقة، وقد قال فيهم **الحطيئة:**[4]

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم * ومن يسوي أنف الناقة الذنبا**

ولنا في قصة **الأعشى** التي أوردها **ابن رشيق** في كتابه:**العمدة** خير شاهد، لما مدح المحلق مشيدا بكرمه وعراقة نسبه حتى توافدت العرب عليه يخطبون بناته[5]، وقصة **حسان بن ثابت** الذي أفسد على **الحارث بن كعب المجاشعي** رهط **النجاشي** تطاوله[6]:

---

[1]– يحي الجبوري: **الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه**، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط5، 1986، ص 121.

[2]– ابن سلام الجمحي: **طبقات الشعراء**، تح: طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2001، ص 22.

[3]– أبو هلال العسكري: **كتاب الصناعتين**، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العلمية، ط1، 1952، ص138.

[4]– الحطيئة: **الديوان** رواية وشرح ابن السكيت، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1993، ص 45.

[5]– ابن رشيق: **العمدة**، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2001، ص 20.

[6]– حسان بن ثابت، **الديوان** شر: عبدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1994، ص 129.

حار بن كعب ألا الأحلام تزجركـــم * عنا وأنتم من الجوف الجماخير**

لا بأس لقوم من طــول ومن عظم * جسم البغال وأحـــلام العصافير**

ذوو التخاجؤ وأمشوا مشية سجحا * إن الرجـــال ذوو عصب وتذكير**

ولهذه الأسباب كانت العرب قديما تحتفي بالشاعر إذا نبغ في قبيلته، قال **ابن رشيق:** «إذا نبغ فيهم الشاعر هللت وأقامت الأفراح»[1]، لأنه يمثل لسان حال قبيلته، وهو: «أشبه ما يكون بالجهاز الإعلامي الضخم لشدة تنقل كلامه وانتشاره بين القبائل»[2]. بالإضافة إلى ما يقوم به من مهام، كالدفاع عن القبيلة وإشاعة أخبارها والإشادة ببطولاتها في حال الانتصار، والتخفيف عنها في حال الانهزام.

والدلائل على اهتمام العرب بالشعر أكثر من أن نحصرها، ومنها حرصهم على روايته جماعات وفرادى، بطريقة تبين أن فعل الرواية كان محكما ومهما ومضبوطا، تؤديه مجموعة معينة من الأفراد[3]، إضافة إلى ظهور طبقة من الرواة المحترفين الذين تفرغوا لرواية الشعر وجمعه من منابته الأصلية الفصيحة في البوادي والقبائل، التي لم تدنسها لغات ولهجات أعجمية ولا ثقافات دخيلة، أمثال **حماد الراوية** (ت 156 أو 164 هـ)، **والمفضل الضبي**(ت 170هـ)، **ومحمد بن السائب الكلبي** (ت 146هـ)، **وأبو عمرو بن العلاء** (ت 154هـ)[4].

---

[1]– ابن رشيق: **العمدة**، ص 53.

[2]– عفيف عبد الرحمن: **الشعر الجاهلي: حصاد قرن**، ص 30.

[3]– ينظر حازم القرطاجني: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص 27.

[4]– شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي:العصر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11، 1960، ص 146–147.

كما حظي الشعر على الصعيد الرسمي باهتمام الخلفاء، فحرصوا على أن يتعلمه أبناؤهم، وهذا بجلب أشهر الرواة والحفظة حتى يتزود أبناؤهم بحظ وافر منه، حفظا للغتهم وذاكرتهم، وزيادة في تثقيفهم.

3) جذور وبدايات الشعر الجاهلي:

لا شك أنّ المراحل التي قطعها الشعر العربي حتى استوى في صورته الجاهلية غامضة، فلم تصلنا أي أشعار تصور مراحله الأولى، إنّما وصلنا بهذه الصورة التامة لقصائده بتقاليدها الفنية المعقدة في الوزن والقافية والمعاني والموضوعات وفي الأساليب والصيغ المحكمة: «وهي تقاليد تلقى ستارا صفيقا بيننا وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الأولى، فلا نكاد نعرف من ذلك شيئا، وقد حاول **ابن سلام** أن يرفع هذا الستار فعقد فصلا تحدث فيه عن أوائل الشعراء الجاهليين»[1]، يقول **ابن سلام:** «لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قصّدت القصائد وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف»[2]، وتأثر **ابن قتيبة** برأيه هذا في مقدمة كتابه: **الشعر والشعراء،** فعرض هو الآخر لهؤلاء الشعراء، وهم عندهما جميعا أوائل الحقبة الجاهلية المكتملة الخلق والبناء في صياغة القصيدة العربية، وكأن الأوائل الذين أنشأوا هذه القصيدة في الزمن الأقدم ونهجوا لها سننها طواهم الزمان»[3].

كما عبر **الجاحظ** عن رأيه في هذه المسألة بقوله: «أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، وأول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، وإذا استظهرناه

---

[1] –شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي:العصر الجاهلي**، ص 27.

[2]– ابن سلام الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**، ص35.

[3]– شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي:العصر الجاهلي**، ص 183.

بغاية الاستظهار فمائتي عام»[1]. ومن آراء النقاد المحدثين نقرأ قول يحي الجبوري: «ولابد أن يكون للشعر تاريخ طويل، قطع فيه أشواطا من الدربة والصنعة حتى استقام واكتمل على هذا الشكل الموزون المقفى، ذي الأسلوب الموجز الجميل، والخيال الخصب، والتعبير الدقيق لا غلو ولا تطويل، وفي لغته المتينة الجارية، وفي أصول متسعة في ذلك الشعر، وإن المعلقات التي بلغت مرتبة كبيرة من النضج الفني، ونالت إعجاب القدماء والمحدثين، كانت نتيجة دربة ومران طويل، في صناعة الشعر»[2]. وهو الرأي الذي يؤكده مصطفى صادق الرافعي بقوله: «وفي الشعر الجاهلي ما يدل على أنه كان يحاكي نماذج سابقة عنه»[3]، مثل قول **امرؤ القيس:**[4]

عوجا على الطلل المحيل لأننا * نبكي الديار كما بكى ابن خذام**

وكذلك قول **عنترة بن شداد:**[5]

هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم؟**

4) الخصائص التي يتميز بها الشعر الجاهلي:

تعتبر البادية البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي، ولذلك كان الشعر مرآة تعكس حياة العرب البدوية في الجاهلية بكل تنوعاتها، حيث كان الشعر يدور حول الفرس والناقة والطلل والخيام، والنباتات الصحراوية، وبالتالي: «يستطيع المرء أن يفسر كل مظاهر الشعر ومعانيه، وصوره وخياله ومفرداته اللغوية وموصوفاته، ونوازع الشاعر وأفكاره ومثله وخلقه

---

[1]– الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، مج1، 1942، ص 84.

[2]– يحي الجبوري: **الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه**، ص 188.

[3]– مصطفى صادق الرافعي: **تاريخ آداب العرب**، ج 2، مكتبة الإيمان مصر، ط1، 1940، ص 15.

[4]– امرؤ القيس: **الديوان**، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2 2004، ص151.

[5]– عنترة بن شداد: **الديوان، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1**، ص147.

وعاداته وعصبيته، على أنها أصداء للبيئة وتصوير لها، ولم يسلم من هذا الأثر حتى أولئك الذين سكنوا بيئات أخرى أو بعد بهم الزمان فعاشوا في قرون لاحقة، لأن الشعر الجاهلي – بمؤثراته – أصبح قدوة يحتذى بها، ونموذجا يتبع، ومثالا يحاكى»[1]. وعليه كانت خصائص الشعر الجاهلي أغلبها تدور حول البادية وما فيها،ما عدا القليل من ألوان الحضر التي عرضت في شعر شعراء نزلوا بلاطات فارس والعراق والشام، **كالأعشى والنابغة**، ومن تلك الخصائص نذكر:[2]

أولا: الخصائص المعنوية للشعر الجاهلي:

أ) **الصدق:** المقصود بالصدق في الشعر أن يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقة،بما يختلج في نفسه، دون أن يتكلف في إيراده، بصرف النظر عما إذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت أو لم تقع، أو كان مبالغا فيها، كقول **عمرو بن كلثوم** مثلا:

ملأنا البر حتى ضاق عنا * وظهر البحر نملأه سفينا**

حيث ليس من الضروري أن يكون صحيحا، ونحن نعلم أنه غير صحيح، ولكن المهم أن عمرا كان يشعر بهذا الشعور فجاء بيته هذا صادقا في التعبير عن شعوره هو، رغم أنه كان مبالغا فيه.

ب) النزعة الوجدانية: يعتبر الشعر الجاهلي شعرا وجدانيا بالدرجة الأولى، يصف نفس قائله وشعوره، حتى أن الشاعر القديم كان إذا خاض في موضوع واقعي معين كوصف الصيد أو الحرب أو كالحكمة والرثاء، لونه بشعوره هو، والأدب في الحقيقة هو الإنتاج الوجداني المطبوع، وقد وصف **ابن قتيبة** الشاعر المطبوع فقال: «من سمح بالشعر واقتدر على

---

[1]– يحي الجبوري: **الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه**، ص 198.

[2]– عمر فروخ: **تاريخ الأدب العربي**، ج1، دار العلم للملايين، مصر، ط4، 1981، ص 76.

القوافي وأراك في صدر بيته وعجزه، وفي فاتحته وفي خاتمته، وتبيّنت على شعره رونق القول ووشي الغريزة، وإذا امتحن (بإنشاد شعره) لم يتلعثم ولم يتزخر»[1]. ولهذا كره النقاد أشعار العلماء، إذ ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة، كشعر **الأصمعي** وشعر **ابن المقفع وشعر الخليل (بن أحمد)** وسواهم، ولعلهم من أجل ذلك أيضا فضلوا أشعار البدو على أشعار القرى، لما في أشعار البدو من الطبع في القول والعفو في النظم، ولما في أشعار الحضر من التكلف بعوامل من العلم والمداراة وتعقد الحياة الاجتماعية.

ت)البساطة والوضوح: إن الحياة الفطرية البدوية والقدم في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الإنسانية ساذجة بسيطة، كذلك كانت البيئة الجاهلية، وكذلك كان أثرها في الشعر الجاهلي،حيث جرى الشعر الجاهلي على طبعه وسجيته، فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به: «وأما صراحة التصوير وصدقه فهما من ميزات البداوة والطفولة، وهما لازمان للشعر الجاهلي في جميع فروعه وتشعباته، والصراحة تحمل البدوي على تسجيل الواقع كما هو في غير اعوجاج ولا محاولة إخفاء»[2]. ويجتمع الطبع والسجية والصدق بحيث نتمثلها كلها في قول **عنترة** يخاطب عبلة[3]:

ولقد ذكرتك والرمـــاح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي**

فوددت تقبيل السيوف لأنـها * لمعت كـبارق ثـــــــغرك المتبسم**

ث) جامع القول: الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي هي أنه شعر وجداني، من أجل ذلك كان معرضا للآراء المفردة، أكثر من المعالجة المستفيضة لشؤون الحياة، ولقد مال العرب

---

[1]– عمر فروخ: **تاريخ الأدب العربي**، ص 77.

[2]– حنا الفاخوري: **الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم**، دار الجيل، بيروت لبنان، 1986، 162.

[3]– عنترة بن شداد: **الديوان**، ص 191.

عموما، والجاهليون خصوصا، إلى استجماع القول، حتى كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة، ما جعل القدماء يفتخرون بذلك، وقد أعجب النقاد بقول **امرؤ القيس:**

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل**

وقالوا: إنه أول من أوقف واستوقف، وبكا واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل، ووصف مكان الطلل في بيت واحد فقط من الشعر.

ج)الإطالة والاستطراد: حيث أن من محامد الشعراء طول النفس في قول الشعر، بمعنى إطالة القصائد، وقد يخرج الشاعر أحيانا عن الموضوع الأساسي إلى موضوعات تتعلق به من قرب أو من بعد، وهذه الظاهرة تعرف بالاستطراد، وقد أثر عن الجاهلية مقطوعات قيل إن أكثرها في الأصل عبارة عن قصائد طوال نُسي بعضها، ومع العلم أن الشاعر الجاهلي نظم هذه المقطعات ابتداء، فإن الغالب على طبع الجاهلي أنه كان يميل إلى إطالة القصائد.

ح)الخيال الشعري: أدى اتساع أفق الصحراء إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي، الذي كان فطريا وبسيطا بساطة بيئته، فلا نستغرب إذا علمنا أن الشعراء الذين اتصلوا بالحضر **كالأعشى وامرئ القيس والنابغة** كانوا في خيالهم أوسع وأعمق وأدق، مثلما يتجلى في معلقة **امرئ القيس** في وصف البرق، يقول[1]:

أحار ترى برقا كـــأن وميضه * كلمع اليدين فـــي حبي مكلل**

يضيء سنا أو مصابيح راهب * أهان السليط في الذبال المفتل**

ولا ريب في أن الخيال في الشعر الجاهلي كان ولا يزال يعتمد على التشبيهات والاستعارات أكثر من اعتماده على انتزاع الصور الشعرية من الطبيعة.

[1]– امرؤ القيس، **الديوان**، ص 24.

ثانيا: الخصائص الفنية للشعر الجاهلي:[1]

أ) غرابة الألفاظ وجزالتها: إن قارئ الشعر الجاهلي اليوم يجد أن معظمه يعتمد على كلمات وألفاظ غريبة، وهي كلمات وألفاظ غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا المعاصرة، ومنه وجب الإشارة إلى أن هذه الكلمات كانت في عصرها فصيحة ومألوفة، لأن ممارسة الجاهلي لحياته في بيئة الخيام والإبل والصحراء جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام والإبل والصحراء مألوفة عنده، لكن عندما انقطعت الصلة بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت معها الصلة أيضا بيننا وبين هذه الكلمات، الدالة عليها وعلى أوجهها وأدواتها وآلاتها، نحو ما ترى من وصف **طرفة بن العبد** للناقة في معلقته، على أن تكون الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ نحو رئال (أي نعام)، أو تكون حوشية مستكرهة في اللفظ، نحو بُعاق (أي مطر)، والكلمة الجزلة هي الكلمة الفخمة التي تقع موقعها من الاستعمال، ويطابق لفظها معناها.

ب) متانة التركيب وبلاغة الأداء: يكتشف القارئ للشعر الجاهلي متانة التراكيب فيه، أي أنه يجري على قواعد اللغة العربية، لا ضعف فيه، من تقديم لفظ في غير محله، أو تأخير لفظة إلى غير مكانها الذي تقتضيه أساليب العرب في كلامهم، أو زيادة وحشو لا فائدة فيه، أو حذف لغير سبب نحوي، كما نلحظ بلاغة تراكيبه أي تؤدي المعاني المقصودة منها، في الأحوال المناسبة إما حقيقة وإما مجازا بتشبيهات واستعارات وكنايات تفصح عن المعاني، وتكسو الأفكار قوة وبروزا، من غير لحن أو إعجام أو لفظ عامي، وقد نجد في بعض الشعر الجاهلي بضعة ألفاظ من الجناس والطباق لكنها كلها غير مقصودة، حيث أنها وقعت هناك اتفاقا، ولعل الشاعر لم يفطن إليها.

ت)العناية بالشعر وتنقيحه: بما أن الشاعر الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه، فإنه لم يتكلف عادة في مكان ينظمه، بل كان يلقيه إلى الناس كما يخطر له ويدور

[1] – راجع كتاب حنا الفاخوري: **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، ص 42 –45.

في خياله، ولكن نفرا من الشعراء كانوا يأخذون شعرهم بالعناية والتنقيح، وقد سماهم رواة الأدب عبيد الشعر، وقد أحصوا من هؤلاء **النابغة وزهيرا والحطيئة وطفيلا**، واشتهر من بينهم **زهير** بقصائده الحولية (الحوليات)، أي التي كان يقضي حولا أي عاما كاملا في نظم كل واحدة منها وتنقيحها وعرضها على النقد.

5) أغراض الشعر الجاهلي وفنونه:

لن ينفعنا تصفح دواوين الشعر أو المصنفات النقدية التي وضعها قدماء الرواة والمصنفين للعثور فيها على تقسيم دقيق ينتظم موضوعات الشعر الجاهلي، لأن معظم الرواة والمصنفين انكبوا على جمع الشعر وحفظه، وكانوا على هذا أحرص منهم على تقسمه وتصنيفه، ومن كان حريصا على تقسيم الشعر لم يكن تقسيمه دقيقا، وربما اتجه التقسيم بالمصنف إلى التمييز بين طبقات الشعراء على أساس تفاضلهم في الفحولة، مثلما فعل **ابن سلام الجمحي**، أو لما حاول **حبيب بن أوس** تقسيم حماسته إلى موضوعات، حيث كان تمييزه بين هذه الموضوعات غير دقيق وأخلط كثيرا بينها، ولهذا فربما كان المتأخرون أدق تقسيما من المتقدمين. ومن أهم هذه الأغراض نذكر:

أ)الغزل: انقسم الغزل في العصر الجاهلي إلى قسمين: غزل صريح أو ماجن وغزل عفيف، والنوع الأول هو الغزل الذي يمعن في تصّوير محاسن جسد المرأة تصويرا صريحا وبطريقة مباشرة، ومن رواده **الأعشى وامرؤ القيس**، أما النوع الثاني فهو الغزل العفيف: وهو الأكثر رواية وانتشارا في العصر الجاهلي، لأنه يصّور حياء المرأة وعفّتها وأخلاقها الحميدة، ويتميز الغزل العفيف بالعفاف ورفعة المستوى، لأنه يركز على إظهار انجذاب الشاعر للمرأة، لأنها تجسد خصال الحياء والعفاف،ويقترن الغزل في الشعر الجاهلي بحياة الصحراء التي تفرض على ساكنيها الترحال الذي كثيرا ما يفرق بين المحبين، كما أن المرأة الحرة

كانت عفيفة، وهذا ما زاد من ولوع الرّجال بأخلاقها، ولم يكن في البيئة الصحراوية ما هو أجمل من المرأة.

ب)الفخر والحماسة: اشتمل الفخر والحماسة الفخر بخصال الشجاعة والكرم والصدق والعفاف والفخر بالنفس والفخر بالقبيلة. فقد كان الشعراء يتجارون في مدح قبائلهم التي ينتمون إليها بقصائد فيها الكثير من المبالغة. أما الحماسة (في الجاهلية) فهي الشعر المتحدث عن تشجيع أفراد القبيلة ويحرضهم على قتال العدو والذود عن القبيلة، وهو يمثل حقيقة الصراع القبلي على أرض الجزيرة، وما كان يحدث من وقائع بين تلك القبائل.

ت)الهجاء: ظهر الهجاء في الشّعر الجاهلي بسبب الحروب والمنازعات والعصبيات القبلية، وأهم مميزاته أنه كان في معظمه هجاءً عفيفاً مهذّباً خالياً من السبّ والشتم، وبعضه كان هجاء مقذعا، وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، وقد حد الإسلام من روايته وانتشاره، ومن شعراء الهجاء في العصر الجاهلى **عنترة وزهير**، ولم يكن هجاء مقذعا بل كان معتدلا، غير متجاوز حدود اللياقة.

ث)الوصف: اشتهر الوصف كثيراً في هذا العصر، وكان الشاعر الجاهلي يصّور أي شيء تقع عليه عيناه، كالحيوانات، مثل: الإبل والخيل، حيث كانت أهم ما عند الشاعر الفخر بفرسه إثباتا لفروسيته. كما صور الشاعر الجاهلي الصحراء والفيافي والجبال،ومن أبرز شعراء الوصف **امرؤ القيس**، وقد امتاز الوصف في الشعر الجاهلي بطّابعه الحسي، ودقّة الملاحظة، وصدق النظرة.

ج)المدح: يعتبر العظماء وأرباب السلطان طائفة من الناس تميل إلى أن يتغنى الناس بمناقبها وذكر خصالها الطيبة ويدها البيضاء. وكان الجاهليون القدامى عموماً، أشد ميلاً من غيرهم إلى هذا النوع من التفخيم ونشر المناقب، ولهذا كان العظماء يتنافسون في استقدام الشعراء وتكريمهم ومدّهم بأنفس العطايا من المال والنعم،مقابل إطراء ومدح الشّعراء

لهم، بما فيهم وما ليس فيهم أيضا، ويذيعون أعمالهم وصيتهم بين قبائل العرب، ويساعدون بذلك على مدّ سلطانهم. وكانت معاني المدح تنحصر في الكرم والجود، والقوّة والحلم، وما إلى ذلك. وينقسم المدح في الشعر الجاهلي إلى نوعين: مدح صادق: وهو مدح نابع من عاطفة قوية اتجاه الممدوح، ويتم مدحه بما فيه من خصال. ومن ذلك المدح قصيدة: "في الحرب والسلم" للشاعر **زهير بن أبي سلمى**، حيث مدح رجلين من قبيلتي **عبس وذبيان** مدحاً خالصاً، نظرا لما قدّماه من التوسط بين القبيلتين لوقف الحرب بينهما، أي **حرب داحس والغبراء**، التي استمرت حوالي 40 عاما. أما النوع الثاني فهو مدح من أجل الاسترزاق بالمال والتمتع بتقريب الملوك، وكان مقتصراً على الشعراء الذين دخلوا قصور المُلوك لمدحهم بما ليس فيهم من أوصاف من أجل نيل العطاء منهم، واشتهرت فيه كثرة المبالغة واشتهر به **الأعشى** خاصة.

ح)الرّثاء: هو نوع لا يختلف عن المدح كثيراً، إلا أنه في ذكر صفات المتوفى الحميدة، وتقترن بالمبالغة في إظهار الحزن والأسى واللوعة على افتقاد المتوفى. ظهر هذا الغرض بسبب كثرة الحروب التي كانت تؤدي إلى قتل الأبطال، ومن ثَمَّ يُرثَون. ومن أبرز مميزاته صدق العاطفة ورقة الإحساس، والبعد عن التهويل والكذب، والدعوة إلى الصبر والجَلَد.

خ)الاعتذار: يعتبر **النابغة الذبياني** مؤسس هذا النوع من الشعر الجاهلي، وقد نشأ هذا النوع متفرعاً من المدح، وأخذ صفات الممدوح مطيّة له،كما يتميز الاعتذار بتداخل عاطفة الخوف والشكر والرجاء والتلطف والتذلل والاسترحام وإظهار الحرص على المودة، وقد اعتذر **النابغة الذبياني** بقصيدة شعر للملك **النعمان** بعد أن سبق وهجاه.

د) وصف الخمر: عني العرب في الجاهلية بشراب الكروم، وكل ما يستخرج منها، وكان مشهد الكروم في الطائف وبيادر العنب كثيرا ما يستهوي الأعراب في بوادي تهامة.

يقول **فيليب حتي** في كتاب: **موجز تاريخ العرب:** أمّا خمر الطائف فقد كان برغم كثرة الطلب عليه أقل ثمناً من النوع الأجنبي، الذي كانوا يستقدمونه من الشام والعراق، ويشهرونه في الشعر العربي، وكان باعة الخمر في الجاهلية ينصبون رايات ليعرف مكانهم، ويسمّونها الغاية. وكانت العرب تفتخر بشربها وبلعب القمار، لأنهما من دلائل الجود عندهم. وقد بلغ ولّعهم في شرب الخمر أن أبا غبشان باع مفاتيح الكعبة بزقّ خمر. ثمّ إنّ تفنّنهم في أوصافها أوجب عليهم أن يسمّوها بأسماء كثيرة في أشعارهم[1]، وكان من الطبيعي أن يتناول الشعراء الخمرة ويصفوها ويصفوا مجالسها، وغدوّهم إليها قبل أن يصيح الدّيك، ووصفوا شربها وآنيتها ومفعولها في النّفس.

ذ)الحكمة: هي قول موجز مشهور، صائب الفكرة، رائع التعبير، يتضمن معنى مسلماً به، يهدف إلى الخير والصواب، وتعبر عن خلاصة خبرات وتجارب صاحبها في الحياة، تأتي الحِكَم في بعض أبيات النص، وتمتزج بالإحساس والعاطفة المؤثرة. وقد شاعت الحكمة على ألسنة العرب لاعتمادها علي التجارب واستخلاص العظة من الحوادث ونفاذ البصيرة والتمكن من ناحية البلاغة، نظرا لاعتمادها على الإيجاز وهو أحد معاني ومظاهر البلاغة، حيث يقال: البلاغة الإيجاز، وكثيرا ما كان الشعر العربي متضمنا خلاصة تجارب الشعراء وحكمهم، لهذا درج النقاد على الجمع بين الشعر والحكمة.

[1] –ينظر فيليب حتي، **موجز تاريخ العرب** ، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1991، ص 16–17.

المحاضرة الثانية: المعلقات (المذهبات): أساليبها ومضامينها

توطئة: عادة ما يُوصف الشعر الجاهلي بأنه ديوان العرب وعلمهم الذي لا علم لهم غيره، لأنه يعد من أهم وثائق تاريخ العرب في الجاهلية، فهو يطلعنا على أحوال الجزيرة العربية وسكانها، ويسجل أيام العرب وحروبهم وأسماء قبائلهم وسادتهم وأبطالهم، ويصف لنا أحوالهم الاجتماعية والعقلية، وهو بالإضافة إلى ذلك أهم مصادر اللغة العربية وأدبها ونحوها وبلاغتها، وقد اتخذه المفسرون مرجعا في تفسير القرآن الكريم، وجعله النحاة والبلاغيون حجتهم فيما تناولوه واختلفوا حوله من قضايا نحوية أو بلاغية، لذا كان الاحتفاء بالشعر والشاعر كبيرا عند علماء العربية، تضاهي منزلته عندهم ما كان له من منزلة عند قبائل العرب التي كانت تحتفي لنبوغ شاعر فيها، واختيار أجود الأشعار لتكتب بماء الذهب، ثم تعلق على أستار الكعبة، وهي التي عرفت فيما بعد بالمذهبات أو المعلقات.

- فما هي هذه المعلقات؟ ومن هم أصحابها؟ وما الموضوعات التي تضمنتها؟ وما هي خصائصها من حيث الشكل والمضمون؟

1- **تعريف المعلقات:** لم يرد لفظ المعلقة بالمعنى المتعارف عليه في القرآن الكريم أو في الأحاديث النبوية الشريفة، بل وردت بمعنى آخر مختلف في قوله تعالى: ﴿فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾[1]، فالمعلقة في هذا المعنى المرأة التي فقدت زوجها أو هجرها، فهي في حكم المعلقة لا متزوجة ولا مطلقة، والمعلقات لغة: من العلق، والجمع: أعلاق وعلوق، وهي النفيس من كل شيء لتعلق القلب به[2].أما اصطلاحا: فهي قصائد طوال اختيرت من الشعر الجاهلي بحكم جودتها ومتانتها وجمال أسلوبها.

[1] – سورة النساء، الأية 129.

[2]– ينظر ابن منظور: **لسان العرب، مادة علق**، ج9، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط3، 1999.

2-أسماؤها وعدد أصحابها:

تعتبر المعلقات من أجود ما قال العرب في جاهليتهم من أشعار، وقد جعلها بعضهم أفضل القصائد التي قيلت في ذلك العصر، حيث يرى **ابن عبد ربّه** في كتابه: **العقد الفريد**، أن العرب: عمدت إلى سبع قصائد- وفي روايات أخرى عشر قصائد- تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي[1] المدرجة، ثم علقتها على أستار الكعبة. وفي سياق مماثل يقول السيوطي: كانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر، فكتبت في القباطي بماء الذهب، وعلقت على أستار الكعبة. وعلى خلاف ما أوردنا سابقا، قدم شوقي ضيف رأيا معارضا مفاده أن: ما يقال من أن المعلقات كانت مكتوبة ومعلقة على الكعبة إعجابا بها وإشادة بذكرها»[2]، ويعلل مذهبه هذا بضعف الكتابة عند الجاهليين، ويذكر **مصطفى صادق الرافعي** في كتابه: **تاريخ آداب العرب**: أن حمّاد الراوية أطلق عليها اسم السمط والسموط، ففي بعض أخباره قال: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوا كان مقبولا، وما ردوا منه كان مردودا.

كما اختلف العرب أيضا في عدد المعلقات فجعلها بعضهم سبعا، وجعلها آخرون عشرا، كما اختلفوا أيضا في أسماء أصحابها، لكن الشائع والمتفق بينهم أن أصحاب المعلقات هم: **امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى ولبيد ابن أبي ربيعة وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد والحارث بن حلزة**. ومن جعلها عشرا أضاف إليهم: **النابغة الذبياني والأعشى الأكبر وعبيد بن الأبرص**.

3-موضوعات المعلقات:

تطورت موضوعات الشعر الجاهلي من أناشيد دينية، كانوا يتجهون بها إلى آلهتهم، فتارة يطلبون منها القضاء على خصومهم، وتارة يطلبون منها نصرتهم، ومن ثم نشأ هجاء

---

[1]- القباطي هي: جمع قبطية، وهي الثياب التي تميل إلى الرقة والدقة والبياض.

[2] - ينظر شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي:العصر الجاهلي**، وحسن الزيات، **تاريخ الأدب العربي**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص 23-24.

أعدائهم ومدح فرسانهم وسادتهم، كما نشأ شعر الرثاء، وهو في أصله تعويذات للميت حتى يطمئن في قبره، ومعنى هذا كله أن موضوعات الشعر الجاهلي تطورت عن أدعية وتعويذات وابتهالات للآلهة إلى موضوعات مستقلة.

أ- **الوقوف على الأطلال:** وهو أول ما تفتتح به المعلقة على عادة الجاهليين، وهو عنصر بالغ الأهمية في نسق البناء الشعري القديم، يلخص باقتضاب احتياجات الذات الإنسانية في تلك المرحلة المثقلة بأعباء الحياة، والواقعة بين ما تراه الطبيعة من قسوة، وبين نوائب الدهر والطامحة إلى الأمن والاستقرار.[1] يستهل **امرؤ القيس** معلقته بـــ:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومـنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل**

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنـــوب وشمأل**

ويستهلها **طرفة بن العبد** بقوله:

لخولـــــــة أطلال ببرقة تهمد * تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد**

أما **زهير بن أبي سلمى** فيستهل معلقته بقوله:

أ من أمّ أوفى دمنة لـــــم تكلّم * بحومـــانة الـــــدراج فالمتثلّم**

ديـــــار لها بالرقمتين كأنـــها * مراجع وشم فـي نواشر معصم**

بها العين والأرام يمشين خـــلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم**

وقفت بها من بعد عشرين حجة * فلأيا عرفت الـــدار بعد توهم**

ب- الغزل: يجيئ الغزل موزعا بين استرجاع الشاعر ذكريات صباه وشبابه ووصفه للمرأة،حيث من المعروف أن أول صورة نصادفها في قصائدهم هي بكاء الديار التي رحلوا عنها، وتركوا فيها ذكريات شبابهم الأولى، وهو بكاء يفيض بالحنان لأثار الديار في الظاهر إلا أنه في الباطن تذكر للحبيبة، لهذا نراهم يقفون عند ذكر المرأة فيصفون جمالها، ولا

---

[1]- عزة حسن: **شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1968، ص 25.

يكادون يتركون شيئا فيها إلا وصفوه، إذ يتعرضون لجبينها وخدها وعنقها وصدرها وعينيها وفمها ومعصمها وساقها وثديها وشعرها...كما يتعرضون لثيابها وزينتها وحليها وطيبها وحيائها وعفتها... ويذكرون بعض مغامراتهم معها. كما وقف بعض الشعراء طويلا يصورون حبهم للمرأة، وما يذرفون من دموع بسبب الفراق، والغزل من الموضوعات الأثيرة لدى الشعراء، والمهمة في الشعر الجاهلي، يقول **امرؤ القيس** مستجديا مستعطفا فاطمة:

وإن تك قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل**

أغرك مني أن حبك قاتلي * وأنك مهما تأمري القلب يفعل**

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي * بسهميك في أعشار قلب مقتل**

ويقول **الحارث بن حلزة** في هند واصفا نار حبه في الأصيل، عند آخر عهده بها، ويحدد موضعها ووقودها ونورها:

وبعينيك أوقدت هند الـــــنا * ر أصيلا تلوي بها العلياء**

أوقدتها من العقيق فشخصي * ـن بعود كما يلـــوح الضياء**

فتنورت نـــــارها من بعيد * بخزاز هيهات منك الصيّلاء**

ج- الوصف: يعنى الشعراء عادة بالوصف بعد أن ينتهوا من غزلهم وتشبيبهم، إذ يخرج الشعراء بعدها إلى وصف رحلاتهم في الصحراء، ووصف ركابهم، على نحو ما أكثروا من وصف الإبل والليل والبرق والسيف والخيل...يقول **امرؤ القيس** في وصف البرق والسحاب:

أصاح ترى برقا أريك وميضه * كلمع اليدين حبي مكلل**

يضيء سناه، أو مصابيح راهب * أمال السليط بالذبال المفتل**

ويصف لنا **عنترة بن شداد** ناقته فيقول:

هل تبلغني دارها شدنية * لعنت بمحروم الشراب مصرّم**

خطارة غب السرى زيافة * تطس الآكام بوخذ خف ميثم**

د- المديح: المدح من الأغراض الواسعة الانتشار عند الشعراء، يمتدحون فيه مناقب القبيلة التي يجدون فيها كرم الجوار ذاكرين عزة أبنائها وإكرام ضيوفهم، لكن مع أواخر

العصر الجاهلي اتخذ الشعراء المديح وسيلة للتكسب والاسترزاق، وأقدموا به على الملوك والسادة، وأخذوا في أثناء ذلك يعنون بقصائدهم عناية بالغة، حتى تحقق ما يريدون من التأثير في الممدوح، فهذا **عمرو بن كلثوم** يمدح **عمرو بن هند** بذكر الخلال الكريمة كلها خير ونعمة، فهو سخي اليد، وهو أكمل الناس عقلا، يقول:[1]

إنّ عمرا لنـــــا لديه خـــلال * غـير شك، فـــي كلهن البلاء**

ملك مقســـط وأكمل من أن يمـ * شي، ومن دون ما لديه الثناء**

إرمـــيّ بمثله جـــالت الخيـــ * ـل فأبت لخصمها الأجـلاء**

وقول **النابغة** في مدح **النعمان** مشيرا إلى فضله العميم، واختار هذه الصفة لاتصالها برغبته في العطاء، ثم ينفي أن يكون له شبيه بين الناس في فعل الخير:[2]

فتلك تبلغنـي النعمـان أن لـــه * فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد**

ولا أرى فاعلا في الناس يشبه * ومـا أحاشي من الأقـوام من أحـــــد**

إلاّ سليمان إذ قـال الإلـــه له * قـم فـــي البرية فاحـددها عـــن الفند**

هـ- الفخر والحماسة: يقصد بالحماسة وصف الشجاعة الحربية التي تتجلى في ميادين القتال، من ضرب بالسيوف وطعن بالرماح، وإقدام على المخاطر، وركوب الأهوال. أما الفخر فيقصد به كل ما له من صلة بالقبيلة، من فخر بأمجادها وذكر لأيامها ودفاع عنها، وما له من صلة بالفرد من فروسية وصعلكة، وكرم وشجاعة ونسب وشرف وسيادة، مثلما نجده عند **لبيد بن ربيعة** حين يفخر بنفسه وبقبيلته[3]، قال:

أو لم تكن تدري نوار بأنني * وصّال عقد حبائـــــل جذّامها**

ترّاك أمكنة إذا لـــم أرضها ***أو يعتلق بعض النفوس حمامها

---

[1]- محمد صبري الأشتر: **العصر الجاهلي الأدب والنصوص المعلقات**، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب سوريا، 1994، ص 367.

[2]- المرجع نفسه، ص368.

[3]- المرجع نفسه، ص 380.

ويقول **طرفة بن العبد:**

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه * خشـــــاش كرأس الحيـة المتوقد**

فآليت لا ينفك كــشحي بطانــة * لـعضب رقيــق الشـفرتيــن مهنـد**

حسام إذا ما قمت منتصـرا به * كف العود منه البدء ليس بمعضد**

و- الهجاء: كان لا يزال الهجاء في الجاهلية يقرن بما كانت تقرن به لعناتهم الدينية الأولى من شعائر، ولعلهم من أجل ذلك كانوا يتطيرون ويتشاءمون، ويحاولون التخلص من أذاه، ونحن نعرف أن النهب والغزو كان دائرا بينهم، وإذا أغاروا ونهبوا إبلا بينها إبل شاعر، وتعرض لهم وتوعدهم بالهجاء اضطروا اضطرارا إلى ردها، ولقد دار هجاؤهم على كل ما يناقض مثلهم من كرم وجود وشجاعة وحماية الجار وإغاثة الملهوف ووفاء العهد وغيرها من مكارم الأخلاق، ولا يكتفي شعراء الهجاء بذلك، بل يتعرضون لمخازي القبيلة في حروبها وأيامها، مثل ما نجده في قول **الحارث بن حلزة** يعيّر قبيلة تغلب بهزائمهم في مواضع معينة، فيطبع قوله بطابع الهجاء المؤلم، يقول:

إن نبشتم ما بين ملحة فالصّـا * قب فيه الأموات والأحيـــــاء**

أو نقشتم فالنقش يجشمه النّـا * س وفيه الإسقام والإبـــــراء**

أو سكتم عنا فكنا كمن أغـــ ***ـمض عينا في جفنها الأقـذاء

ز- أما **الرثاء:** فهو من الموضوعات التي تتصل اتصالا واضحا بالحماسة، فقد كانوا يرثون أبطالهم في قصائد حماسية، يريدون بها أن يثيروا قبائلهم لتأخذ بثأر أبطالها، فكانوا يمجدون خلالهم ويصفون مناقبهم التي فقدتها القبيلة فيهم، ولم يؤبنوا أبطالهم القتلى فحسب، بل أفسحوا في مراثيهم لتأبين أشرافهم،حتى وإن ماتوا حتف أنوفهم فخرا بهم واعتزازا بمناقبهم وأعمالهم.

تدخل هذه الموضوعات التي قدمناها جميعا في إطار القصائد الطويلة، وكان يتداخل معها ضروب من **الحكمة** والمعاني التهذيبية، وكثيرا ما كان الشاعر يختتم مطولته بحكمة

هي خلاصة تجاربه في الحياة. فهذا **طرفة بن العبد** اختتم معلقته بهذه الأبيات التي تتضمن معاني الحكمة:

سَتُبدِي لكَ الْأَيَّامُ مــا كنتَ جاهِلاً * ويأتِيكَ بالأخْبارِ مَن لَم تُزَوَّدِ**

ويـــأَتِيك بالأخـبارِ مَن لم تَبِعْ لهُ * بتَاتاً وتضْرِب لهُ وقتَ مَوْعِدِ**

ويتفكر في العمر الذي ينقص يوما بعد يوم، ثم يصير إلى النفاذ فيقول:

أرى الدهر كنزا ناقصا كـــل ليلة * وما تنقص الأيام والدهر ينفذ**

4-الخصائص المعنوية للمعلقات:

1-تتميز بمعانٍ واضحة بسيطة لا تكلف فيها، ولا إغراق في الخيال، سواء في حديث الشاعر عن أحاسيسه، أو حين يعمد إلى تصوير الطبيعة من حوله.

2- الشعر مرآة للحياة البدوية بجميع مناحيها، فقد صور الشعراء كل ما فيها من نبات، وحيوان، ومعالم جغرافية، وظواهر كونية.

3 - الواقعية والوضوح، ولا شك أن البساطة والوضوح أثر من أثار البيئة، وصفاء الذهن، واعتدال المزاج، وهما يدلان على عقلية هادئة لا غموض فيها ولا تفلسف.

4- البساطة في التفكير، فمعاني المعلقات بسيطة لا غموض فيها ولا تعقيد، وذلك متناسب مع حياة الشعراء، كما أن معالجة الشعر الجاهلي لموضوعاته يمتاز بالمادية والحسية، أما الجوانب الروحية فلم تكن محل اهتمامهم.

5- الإيجاز، حيث كانت طبيعة الحياة سريعة، ذات حركة دائبة، ناتجة عن طبيعة البيئة البدوية، كل ذلك دفعهم إلى تجنب الإطالة والتأمل والتفلسف.

6-الحياة والحركة، حيث نجد الحركة تدب في الصورة الشعرية، كأنما هي أجسام حية، تدور وتجري، وتكر وتفر، وتتكلم أحيانا.

7- تبدو الروح الجماعية واضحة، فالشاعر في أغلب الأحيان يتحدث عن القبيلة، وهو لسانها الناطق والمعبر عن أحوالها، وإلى جانب ذلك فقد كانت النواحي الشخصية حاضرة في الشعر الجاهلي.

5-الخصائص الشكلية للمعلقات:

1- المحافظة على التقاليد الشعرية، فقد التزم الشعراء بهذه التقاليد في جميع قصائدهم: الوقوف على الأطلال والتغزل بالحبيبة ووصف الرحلة والرفيق والناقة...،ثم حسن الانتقال إلى الغرض الأساسي في القصيدة، حيث تتجلى مهارة الشاعر الفنية في حسن الانتقال من موضوع إلى آخر.

2-إحكام الصنعة الموسيقية، فقد كان الشاعر الجاهلي في قصيدته يتقيد بالنغمة الأولى إلى نهايتها، حتى يستوي من حيث اتحاد النغم أو اتحاد القوافي وحركاتها، كما برع في تجزئة الأوزان، حتى يودع شعره كل ما يمكن من عذوبة وحلاوة موسيقية.

3- حسية التصوير، حيث نجد أن الشاعر الجاهلي استقى صوره من عالمه المادي وبيئته المحيطة به، فلا يذكر شيئا إلا وقرنه بما يماثله ويشبهه من عالمه الحسي، لذلك جاءت الصور في مجملها قريبة ويسيرة، لكنها صادقة ودقيقة الأداء.

4- الصياغة اللغوية المحكمة، فقد كان الشعراء يهتمون بألفاظهم وعباراتهم، ويتحرون الألفاظ الشعرية التي تؤدي الغرض وتؤثر في المتلقي، ويتضح هذا الاهتمام لدى أصحاب الحوليات.

5-يعج شعرهم بالكثير من المحسنات البديعية التي ترد عفوية من غير تكلف أو تصنع، فتسهم في وضوح الأفكار وبيانها، وإيجاد إيقاع موسيقي عذب وثري ومناسب للغرض.

المحاضرة الثالثة:	شعر الصعاليك

- **تمهيد:**

الإنسان اجتماعي بطبعه، وتستوجب حياته العيش في نطاق الجماعة والتفاعل معها، وتبادل المنافع الضرورية، ابتغاء تحقيق حاجاته الفطرية الأساسية من شعور بالحب والتقبل، والانتماء والاندماج مع الجماعة، إلا أن بعض الأفراد وبسبب التضاد بين الرغبات الفردية، وضيق أفق الشخصية وبين توجهات المجتمع المحيط بها، يميلون رغبة أو جبرا إلى العزلة والانعزال، فإذا ارتكب فرد جرما رفضت القبيلة أن تتحمل نتائجه، وإذا أخطأ في حق قبيلته نفسها، فإنه يطرد منها.[1]وقد يحملهم هذا الوضع إلى حد النفي من مجتمعاتهم، وعرفت هذه الفئة من المجتمع منذ الجاهلية باسم الصعاليك، ومن خلالهم بدأ الحديث عن ظاهرة الصعلكة في الشعر العربي.

1-ما المقصود بالصعلكة ؟

الصعلكة لغة: تعني الفقر، ويشير **ابن منظور** في:**لسان العرب**، إلى أن الصعلوك هو الذي لا مال له ولا اعتمار[2]، وقد تطورت دلالة هذا المصطلح، بحيث صار يدل على طائفة من الشعراء ممن كانوا يمتهنون الغزو والسلب والنهب والإغارة على القوافل، ثم توزيع الغنائم على الفقراء والضعفاء.

برزت الصعلكة كظاهرة اجتماعية على هامش الحياة الجاهلية، كرد فعل على بعض العادات والممارسات،والصعاليك فئات متعددة، ومنهم فئة الأغربة، حيث كان بعض العرب يأنفون من إلحاق أبنائهم من الإماء (أي أبناء الحبشيات) بنسبهم، ويطلق على هؤلاء اسم:

---

[1]- يوسف خليف: **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 3، 1978، ص 92.

[2]- ينظر ابن منظور: **لسان العرب، مادة صعلك**، ج7، ص 350.

أغربة العرب، ونتيجة لهذا كانوا يتمردون على ذويهم ويلوذون بالصحراء،ومن بينهم: **الشنفرى وتأبط شرا والسليك بن السلكة.** أما الطائفة الثانية فهي الخارجة على أعراف القبيلة، والمتمردة على مواضعاتها، والمنتهكة لمواثيقها، وهؤلاء كانت تخلعهم قبائلهم لما يرتكبونه من جرائم وحماقات، فيسمون بالخلعاء، ومنهم: **حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية وأبي الطمحان القيني.** أما الطائفة الثالثة فكانت من اللصوص المحترفين، يعيشون على الإغارة ويقتاتون من ورائها، منهم: **عروة بن الورد،** ومنهم أيضا:**أبو خراش** من قبيلة **هذيل، والحارث بن ظالم من ذبيان، والقتّال الكلابي من بني بكر من كلاب من قبيلة عامر بن صعصعة**[1]، كما كانت هذه الطائفة تضم قبائل بأكملها، منها: قبيلتي **هذيل وفهم.**

2-الإطار الاجتماعي والبعد الإنساني في شعر الصعاليك:

يرى العديد من الباحثين المعاصرين ومنهم محمد مصطفى هدارة ويوسف خليف وشوقي ضيف أن هذه الحركة ذات مضمون اجتماعي وإنساني، تعمل على وضع الأمور في نصابها، وأنها مظهر من مظاهر الصراع بين الفقراء والأغنياء، لهذا فهي ذات سمة واقعية، تكشف عن حس متوهج يرفض الظلم والقهر، ويستدلون بالعديد من الوقائع التي تدعم هذا الرأي، ومن الأدلة التي استدلوا بها أن الشعراء الصعاليك لم يكونوا يهاجمون سوى الأغنياء، حيث حدد أحد الشعراء الصعاليك ثلاث شرائح اجتماعية جعلها هدفا لغاراته، وهي طائفة أصحاب المواشي، وأصحاب المزارع الخصبة، وأصحاب النوق الحوامل.

قال **تأبط شرا:**

فيوما على أهل المواشي وتـارة * لأهل ركيب ذي ثميل وسنبل**

وأهل الركيب هم أصحاب المزارع، والثميل هو الحب، وفي هذا البيت يحدد النوعين الأولين، أما الطائفة الثالثة فيرد ذكرها في بيت أخر:

ولكنّ لأرباب المخاض يشفّهم * إذا اقترفوه واحدا أو مشيعا**

[1]- زبير براقي: **المفيد الغالي في الأدب الجاهلي،** ديوان المطبعة الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر، ص 176.

وأرباب المخاض هم أصحاب النوق الحوامل، الذين يشقيهم أن يتتبعوا أثره. ويستشهدون على ذلك أيضا بما روي عن **عروة بن الورد**، أشهر الشعراء الصعاليك، من أنه أصاب امرأة في إحدى غاراته فدخل بها وأنجبت منه، وحج معها، وحين لقيه قومها خيرها بين الذهاب مع أهلها أو البقاء معه، فاختارت أهلها، فتقبل قرارها راضيا، وقد شهدت له بحسن العشرة، ومن ذلك أيضا ما أشيع عن هؤلاء الشعراء الصعاليك من عفة وصبر، فهاهو **أبو خراش الهذلي** يروض نفسه على احتمال الجوع، ويتعفف عن تناول طعام كانت امرأة من هذيل قد أعدته له على الرغم من جوعه، وقصة **عروة بن الورد** مع عشيرته، وفي أشعارهم ما يشير إلى هذا النزوع الإنساني الواضح، كأبيات عروة بن الورد التي يقول فيها:

إنـــي امرؤ عافـــى إنـــائي شركة * وأنت امـــرؤ عافـــى إنـــائك واحـــد**

أتهزأ منـــــي أن سمنت وأن ترى * بوجهي شحوب الحـــق والحق جـــاهد**

أقسم جسمي فـــي جسوم كثـــيرة * وأحسو قراح الماء والماء بـــــــارد**

فهل كان كل الشعراء الصعاليك على هذه الشاكلة؟ وهل كانوا يمثلون حركة منظمة على النحو الذي يشير إليه مؤرخو الأدب؟

الواضح أنهم لم يكونوا جميعا على هذا المستوى من الخلق الرفيع، والنزوع الإنساني السامي، بل كان منهم الفاتك الفاجر، الذي لا يتورع عن سفك الدماء دون وازع، ولهذا كانت الصعلكة في جانب من جوانبها دموية متمردة على الأعراف والقيم. وقد استمرت هذه الظاهرة ردحا من الزمن، وظلت طائفة من الشعراء الصعاليك تنتمي إلى هذا المسلك الاجتماعي والفني في عصر صدر الإسلام وبني أمية.

3-أهم أغراض شعر الصعاليك:

أهم أغراض شعر الصعاليك هو تصوير حياة الصعلكة، بما فيها من تمرد وترصد وتوعد، وحياة التشرد، قوامها الاشتراك في اقتناص الأسلاب واقتسامها، والهزء بالصلات القبلية، والدعوة إلى التكافل بين الصعاليك على ما بينهم من تفاوت في الفئات والأنساب.

أ- **المغامرة:** هي روح الصعلكة، والمسلك الذي ينتظم حياة الصعاليك من أولها إلى آخرها، ومن أخطارها صنعوا أعرافهم، ومن خروجها عن المألوف سنّوا لأنفسهم سننا يتبعونها، فهم أبناء الرهبة والرعب، حلفاء الفوضى، أعداء الأمن والطمأنينة والاستقرار. ويصور لنا **الشنفرى** خروجه مع ثلة من أصحابه، يتخللون مضارب الآمنين في جوف الليل،[1] قائلا:

خرجنـــا ولم نعهد وقلّت وصاتنا * ثمانية مـا بـعدها متـــــــعتب**

سراحين فتيان كـــأنّ وجـــوههم * مصابيح أو لوم من الماء مذهب**

نمر برهو الماء صفحا وقد طوت * ثمائلنـــــــا والــزاد ظـــن مغيب**

ب- **الفرار:** تغنى الشعراء الصعاليك بالفرار، ولم يجدو في ذلك غضاضة، لأن أهم قيمة يحاربون في سبيلها هي الحفاظ على الحياة، والبقاء في مجتمع أنكر عليهم حق الحياة والبقاء، ومن هذا المنطلق كان **تأبط شرا** يفخر بسرعة عدوه، فقرن نفسه بالجواد الأصيل والصقر الجبلي، وغاظ خصومه بفراره منهم وفي حوزته أموالهم[2]، فقال:

لا شيء أسرع مني ليس ذا عذر * وذا جناح بجنب الرّيـد خفّاق**

حتى نجوت ولما ينزعـــوا سلبي * بواله من قبيض الشّد غيداق**

ج- الخيل والسلاح:رغم أن معظمهم كانوا عدائين إلا أنفي شعرهم مواضع لوصف الخيل والسلاح، لأنهم لم يكونوا جميعا يركبون سوقهم وأقدامهم، فقد ظهر بينهم فرسان مدججون بالسلاح، وإذا لقيتهم حسبتهم من علية القوم **كعروة بن الورد والشنفرى**، وحسبك أن تقرأ ما قال **تأبّط شرا** لترسم في ذهنك صورة الفارس الكامل، فهو مسلح بقوس صفراء مشدودة الوتر، وسيف صقيل، ويمتطي جوادا أشقر سريع الجري[3]، قال:

يفـرّج عنـه غمّة الـروع عزمـه * وصفراء مرنان وأبيض بـاتر**

---

[1]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: **الأدب الجاهلي**، دار الإرشاد، حمص سوريا، ط1، 1992، ص .225

[2]- المرجع نفسه، ص 226.

[3]- المرجع نفسه، ص 228.

وأشـــقر غيداق الجـــراء كـــأنه* عقاب تدّلى بين نيقين كاسر**

يجمّ جموم البحر طـــال عبابه * إذا فاض منه أوّل جاش آخر**

د- أواصر ومآثر: كان الصعاليك قد قطعوا أواصر القربى التي تشدهم إلى قبائلهم،لهذا فقد نسجت لهم الصعلكة أواصر جديدة، خيوطها اشتراكم في التشرد وانتماؤهم إلى الجبال، واجتماعهم على مخالفة الأغنياء الجبناء أصحاب الأنساب والأحساب، هذا ما دفعهم إلى مصافاة من يعايشون، والوفاء لمن يألف رفقتهم، **فتأبط شرا** كان مزهوا بكوكبة من الفتيان الشجعان، يقول في وصف الحماسة التي تشتعل في أحداقهم:[1]

مساعرة شعث كأن عيونهم * حريق الغضا تلفى عليه الشقائق**

4-الخصائص الفنية لشعر الصعاليك:

تدور خصائص شعر الصعاليك حول محورين: الأول موضوعي والثاني فني، ويترتب الجانب الفني على الموضوعي كما سيتضح لنا:

* التخلص من المقدمات الطللية، وهذا أمر طبيعي ما دام الشعراء الصعاليك يحرصون على الوحدة الموضوعية في شعرهم، إذ أن المقدمات الطللية تخل- بطبيعة الحال – بهذه الوحدة الموضوعية، وما عدا تلك المجموعة التقليدية التي أشرنا إليها،حيث لا نعثر فيما بين أيدينا من شعر الصعاليك على مقطوعة أو قصيدة تبدأ بمقدمة غزلية، وإنما اتخذ الشعراء الصعاليك لأنفسهم مذهبا آخر استعاضوا به عن هذه المقدمات، وهو مبدأ جعلوا محوره (حواء الخالدة) أيضا، ولكنها ليست المرأة المحبوبة التي عرفناها عند الشعراء القبليين، أو تلك المرأة التي يتدله الشاعر في حبها، ويبكي أيامه معها، ويقف على أطلال ديارها، ولكنها المرأة المحبة الحريصة على فارسها، التي تدعوه دائما إلى المحافظة على حياته، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هي، حيث كانت لكل فارس سيدة يضع كل مفاخره بين يديها،

[1]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: **الأدب الجاهلي**، ص 230.

ومن هنا يمكن أن نطلق على هذه المقدمات النسائية عند الشعراء الصعاليك مقدمات الفروسية في شعر الصعاليك في مقابل المقدمات الطللية في الشعر القبلي.[1]

*القصصية،حيث تدور القصيدة لديهم حول تجربة معينة من تجاربهم العديدة، يسجلون فيها كل ما يدور حولهم، ونصل إلى تقرير ظاهرة مترتبة على هذه الفكرة، وهي ظاهرة القصصية في شعر الصعاليك، فشعر الصعاليك في مجموعه شعر قصصي، يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة، التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي، مثل حوادث مغامراتهم الجريئة التي كانوا يقومون بها فرادى وجماعات، وما كان يدور فيها من صراع مرير، وأخبار فرار عدوّهم وتشردهم في أرجاء الصحراء، وتربصهم فوق المراقب في انتظار ضحاياهم[2]، هذا كله أدى إلى ظهور الجانب القصصي من ناحية، وتوفر قدر من الوحدة الموضوعية من ناحية ثانية، الأمر الذي ترتب عليه اختفاء التقاليد المعروفة في بناء القصيدة الجاهلية، فلم تعد هناك مقدمات طللية أو غزلية، بل إن الشاعر يعالج موضوعه مباشرة وبإيجاز.

*أدى ارتباط أدبهم بواقع حياتهم، الموغلة في القسوة والتشرد، تحت أقسى الظروف إلى تصوير نوازعهم الداخلية إزاء هذا الوضع القاسي، فبرز النزوع إلى شيء من التحليل النفسي، وتصوير ردود فعلهم إزاء هذا النمط الصارم، بصدق النقل عن الحياة، ومطابقة الصورة للأصل، بحيث لا يشعر الناظر في شعر الصعاليك باختلاف بين الصورة الشعرية وأصلها في الحياة، أو بين ما يراه في شعرهم وما يشاهده في الحياة، حتى يخيّل إليه أنّه أمام مجموعة من الصور الفوتوغرافية.[3]

* تنتمي غالبية قصائدهم إلى الرجز، ويرجع ذلك إلى طواعية هذا اللون من الشعر للارتجال، وسيرورته بين الناس وشعبيته، وارتباطه الوثيق بالكر والفر والمنازلة، فهو ضرب

---

[1]– يوسف خليف: **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 268.

[2]– المرجع نفسه، ص 278–279.

[3]– المرجع نفسه، ص 282.

من ضروب الشعر يرتجز به المقاتلون، وهو ما يعتبر قريبا من طبيعة هؤلاء الشعراء، فحين ننظر إلى شعر الصعاليك الذي قالوه قبيل مصارعهم نجد ان كثيرا منه كان رجزا، **فقيس بن الحدادية** يقاتل أعداءه وهو يرتجز حتى يقتل، **والشنفرى** في ساعته الأخيرة حين يضرب أعداؤه يده فيقطعوها يرثيها رجزا، حاثا أصحابه على الثبات وعدم الفرار، حتى بلغت أراجيزه في هذه الفترة الحرجة من حياته خمسا.[1]

ومهما يكن من أمر فإن شعر الصعاليك يظل لونا متميزا من ألوان الشعر الجاهلي في ارتباطه الوثيق بالبيئة الصحراوية، التي تعتبر مصدرا هاما من مصادر صورهم وأخيلتهم ومعجمهم اللفظي، وهذا ما يفسر ما نلمحه في أشعارهم من غرابة وخشونة في الألفاظ.

[1]-- يوسف خليف: **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 318.

المحاضرة الرابعة:	الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوح

توطئة: أحدث نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثورة عميقة في مجتمع شبه الجزيرة العربية، حيث عمل على نشر الفضيلة وتهذيب الأذواق، كما ساهم في رقيها، وزاد للغة قريش سيادة ورفعة ومكانة مرموقة، وأعطاها الشرعية، ومكنها من التفوق على باقي لهجات العرب خاصة بعد ما جمع القرآن الكريم، وصار بإمكان الناس الاطلاع على ما يتضمنه من أساليب راقية وإعجاز، كان له أثر جلي على الحياة الأدبية وخاصة الشعر: « فقد مده بألفاظ جديدة ومعاني لم يكن العرب ليدركوها على غرار: الفرقان، المنافق، الإيمان، كما أعطى لبعض الألفاظ معاني ودلالات جديدة مغايرة لتلك التي كانت عليها في الجاهلية، كألفاظ: المؤمن، المسلم، الكافر[1]»، ودفعهم إلى اختيار الألفاظ العفيفة والمعاني الشريفة التي جاء بها الإسلام: «لقد حظر عليهم الإسلام أن يلموا منه إلا بما عفّ لفظه وشرف معناه(...) ومن أجل ذلك تحولوا عن بعض معانيهم الشعرية التي أجادوها وأبدعوا فيها، إلى المعاني التي أقرها الدين وارتضاها، ومن شعرائهم من امتنع عن قول الشعر في الإسلام، لأن الله أبدله به خيرا[2]».

1-شعر الفتوح الإسلامية:

تعني ما قام به المسلمون من جهاد وفتح للبلدان، وتبليغ لدعوة الله ودين الإسلام لخلق الله، وتحطيم قوى الشر التي كانت تمنع المسلمين والناس من عبادة الله الأحد الأوحد في البلاد المختلفة، وقد طبع شعر هذه المرحلة بطابع أملته عليه الظروف القاسية للمعارك وتلاحقها وحماسها، فاتسم الشعر بخصائص معينة في الشكل والمضمون، مقارنة بالشعر

[1]- مصطفى السيوفي: **تاريخ الأدب في صدر الاسلام**، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط1، 2008 ص 37.
[2]- المرجع نفسه، ص 77.

الجاهلي: «وكانوا في أثناء هذا الجهاد ينظمون أناشيد حماسية مدوية، يتغنون فيها بانتصاراتهم ويمتدحون شجاعتهم وما يؤدون لله ودينه[1]».

كان شعر الفتوحات شديد الالتصاق بالحركات الحربية التي خاضها المسلمون ضد المشركين، يواكبها ويزدهر في ظلالها، حيث امتازت حروب الجهاد بأنها: «أبرزت شاعرية كثير من الشعراء المغمورين الذين لم يذع لهم شعر قبل اشتراكهم فيها، فسارت بأشعارهم الركبان، وسجلت أسماؤهم في أذهان العرب، ومن هؤلاء على سبيل المثال: **نافع بن الأسود بن قبة التميمي وعمرو بن مالك الزهري، والأعور الشّنى وحسان بن منذر الضبي وكثيّر بن الغريزة النهشلي وزهير بن عبد شمس البجلي** وغيرهم»[2]. لقد أنطقت هذه الفتوحات أناسا بالشعر ولم تكن لهم سابقة في ميدانه، لكنهم لما حملوا السلاح، وخاضوا المعارك الدينية بإحساس المجاهدين الصادقين، جادت نفوسهم بالأبيات والمقطوعات تنفيسا وتحميسا لأنفسهم.والملاحظ لهذه الفتوحات أنها هيأت العديد من الظروف التي تساعد على بعث الشعر وازدهاره إلى درجة أنها: «خلفت ثروة شعرية في شتى الأغراض، التي تعد بمثابة وثائق تاريخية ونفسية هامة في تاريخ الأدب العربي، ومن حيث أنها تمثل مرحلة حية من مراحله[3]»، وفي هذا السياق يمكن أن نستعرض بعض النماذج من شعر الفتوحات الإسلامية في مختلف أغراضه، على أن نحرص من خلال هذا العرض على التماس ما فيه من هدى الإسلام، أو تمثل لروحه، ونزعاته، وتأثر بمعاني القرآن الكريم وعباراته.

2-أغراض وموضوعات شعر الفتوح:

تعدد أغراض وموضوعات شعر الفتوحات الإسلامية، فمنها ما كان موجودا ومألوفا، ومنها ما كان مستجدا، ومن أهم تلك الأغراض نذكر ما يلي:

---

[1]-شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي**، ص 62.

[2]- صلاح الدين الهادي: **الأدب في عصر النبوة والراشدين**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 1987، ص 305.

[3]- المرجع نفسه ص 306.

أ- **الفخر والحماسة:** الحماسة هي ذلك الشعر الذي يهدف إلى الإشادة بما كان من إقدام القائد أو الجند أو الكتيبة أو الشاعر نفسه، يعبر به الشاعر عن قسوة المعارك وضراوة القتال وشدة التحام الجيوش في أثناء المعركة، وما يظهره الفرسان من إقدام وإحجام، وما قد تنتهي إليه المعركة من انتصار أو انهزام.

كما اتجه الفخر في شعر الفتوح اتجاها متشعبا بروحه، فتغنى بانتصار الإيمان على الكفر، والنور على الجهل، وتخلص من النظرة العصبية الضيقة، وعرف مواضيع جديدة كالفخر بالإسلام والمسلمين والانتصار وهزيمة الكفر، والإشادة بخصال المسلم، ومن نماذجه قول **الأسود بن قطية التميمي** حين افتخر بصدق جهاد قومه بني تميم في القادسية[1]:

وقـــال القضاة من معدّ وغيـــرها * تميمك أكفاء الملوك الأعـــاظم**

هــم أهـل عــز ثــابت وأرومـــــة * وهم من معدّ فــي الذرا والغلاصم**

وهم يضمنون المال للجار ما ثوى * وهـم يطعمون الدهر ضربة لازم**

وكذلك ما ورد عن **حسان بن ثابت** من شعر في تصوير معركة بدر، كقوله:

وخبّر بالــذي لا عيب فيــه * بصدق غيــر إخـــبار الكذوب**

بما صنع المليك غداة بدر * لنا في المشركين من النصيب**

فــغادرنا أبــا جهل صريعا * وعتبة قد تركنــا فــي بالجبوب**

ب- **الرثاء:** يختلف موضوع الرثاء في شعر الفتوح تماما عن الرثاء في الشعر الجاهلي، فالشاعر الإسلامي ملتزم بعقيدة دينية تحدد له أبعاد الرثاء، ضمن المعاني والقيم الإسلامية،

[1]- صلاح الدين الهادي: **الأدب في عصر النبوة والراشدين**، ص 304.

حيث نرى المسلمين يتسابقون إلى الموت والشهادة في مجالات الجهاد، فيكون الموت مفخرة من المفاخر التي يعتز بها المسلم، فبعد مرور عام على موقعه بدر الكبرى، جاءت قريش برجالها ونسائها، وجهزت جيوشها للثأر لذلها وقتلاها في بدر، وكانت هند بن عتبة والنساء يحملن الدفوف يضربن خلف الرجال ويحرضن على قتال المسلمين بقولهن[1]:

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الادبار**

ضربا بكل بتار

وانتهت المعركة بانتصار المشركين على المسلمين، واستشهد في المعركة حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاء دور الشعراء المسلمين لرثاء شهداء أحد، ومن بين هؤلاء الشعراء **كعب بن مالك** الذي قال:

وقتلاهم فـــي جنان النعيم * كـــــرام المداخل والمخرج**

بما صبروا تحت ظل اللواء * لواء الرسول بذي الأضوج**

فكلهم مات حـــــر البلاء * علـــــى ملة الله لم يخرج**

كما طرقوا موضوعات جديدة تعتبر تجديدا منهم، كرثاء أنفسهم في البلدان الغريبة، أو رثاء بعض أعضائهم، وبرز فيه معنى الثأر من الكفار والمشركين، ومنه ما أنشده **عمار بن ياسر** يرثي وينعي **سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد**:[2]

وحق من أعطى لنا نصره * في كـــل واد ثم فتـح قريب**

---

[1]– واضح الصمد: **أدب صدر الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 128.

[2]– الواقدي: **فتوح الشام**: تح عبد اللطيف عبد الرحمن، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997، ص 287.

لنأخذن الثأر من جمعهم * جهرا ونطفي من فؤاد لهيب**

ج- الهجاء: لاقى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزول القرآن عداء شديدا من مشركي قريش، ومن والاهم من الثقفيين والأعراب واليهود، وقد استمر هذا العداء حوالي عشر سنوات، قدّم فيها الفريقان العدد الكبير من الضحايا، وكان لشعر الهجاء دورا كبيرا في إضرام تلك العداوات، فكان شعراء قريش وحلفاؤهم يهاجمون الرسول وأصحابه والدين الإسلامي، وكان لابّد من ردعهم بالسلاح الفعّال عينه، فسمح الرسول صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم لإسكاتهم وإضعافهم: «وكان من أشهر الشعراء الذين انبروا للرد على هجاء المشركين **حسان بن ثابت وكعب بن ملك وعبد الله بن رواحة**، فكانوا يعارضونهم ويهجونهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرونهم بالمثالب، وكان **عبد الله بن رواحة** يعيّرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشدّ القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة.[1]»، وهذا **حسان بن ثابت** يصف واقع الحال، فيقول:

لنـــا فـــي كل من معد * سباب أو قتـــال أو هجاء**

فنحكم بالقوافي من هاجانا ** ونضرب حين تختلط الدّماء

وكان اللجوء للهجاء بسبب أنّ هؤلاء الشعراء كانوا يحمون أعراض المسلمين من هجوم خصومهم باللسان، وإخوانهم يحمونهم بالسنان، وكأنها معركة دينية وسياسية تؤثر في النصر النهائي، وتصنع في المحاربين كما تصنع السيوف سواء بسواء، وقد أسرف المشركون في التحريض على النبي وأصحابه، وفي هجائهم لهم حتى أهدر النبي دم الهجائين منهم. مثلما حدث مع **كعب بن زهير**، قبل أن يتوب ويطلب الصفح من النبي صلى

[1]- واضح الصمد: **أدب صدر الإسلام**، ص 132.

الله عليه وسلم.ومن أشعار المشركين يوم بدر قصيدة قوية منسوبة إلى **ضرار بن الخطاب بن مرداس** منها قوله:[1]

عجبت لفخر الأوس والحين دائر * عليهم غدا والدهر فيه بصائر**

فإن تـك قتلـى غودرت من رجالنا * فإنــا رجـال بعدهم سنـــــغادر**

وتبكيـــهم من أرض يثرب نـسوة * لهن بها ليل عن النوم سـاهر**

فأجابه **كعب بن مالك** بقصيدة يقول فيها:

عجبت لأمر الله والله قـــــادر * علـى مـا أراد ليس لله قاهـــر**

قضي يوم بدر أن نلاقي معشرا * بغوا وسبيل البغي بالناس جائر**

وقد عريت بيض خفاف كأنــها * مقابيس يزهيها لعينيك شـــاهر**

فأمسوا وقوة النار في مستقرها * وكـــل كفور في جهنم صـــائر**

د- الحنين إلى الأهل والأبناء: يصنف هذا الغرض في طليعة المعاني التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بموضوع الفتوحات، ويأتي هذا الغرض مكمّلا لمعاني الوصف، ونقل مشاعر المجاهدين وهم في ساحات المعارك بعيدا عن الأهل والأقارب والأبناء، عبروا في أشعارهم عن حنين بالغ إلى ديارهم وأهاليهم،[2] ومن أمثله هذا الغرض شعر **أبي خراش الهذلي** في حنينه لابنه الذي التحق بجيش المسلمين في فتح الشام:

ألا من مبلغ عني خراشا * وقـــد يأتيك بالنبأ البعيد**

---

[1]- واضح الصمد: **أدب صدر الإسلام**، ص 135.

[2]- شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي**، ص 65.

وقــد يأتيك بالأخبار من * لا تجهّز بالحذاء ولا تزيد**

ينـــاديه ليغبقه كلـــيب * ولا يـأتي، لقد سفه الوليد**

3- **خصائص شعر الفتوح:** يمكن تلخيص سمات شعر الفتوحات في النقاط التالية:

- يشتمل هذا الشعر على المعاني والقيم الإسلامية، مع الالتزام بروح العقيدة الإسلامية.
- يتسم بالإيجاز والقصد إلى الفكرة، بدون إسهاب أو مقدمات، كما هو الحال في الأغراض الشعرية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام.
- التزام الشاعر بوحدة الموضوع، حيث نظم شعر الفتوح مقطوعات شعرية لا تحتوي الواحدة منها على أكثر من غرض.
- اتسام شعرهم بالعفوية الصادقة، لأنه يعبر عن روح الجهاد في سبيل الله ورسالة الإسلام.
- السهولة والوضوح، والخلو من التصنع والتكلف.
- التعبير عن الروح الجماعية الإسلامية التي ذابت فيها العصبيات القبلية، وانصراف الشعراء إلى رفع راية الإسلام.
- اشتمال شعر الفتوح على أخبار الجيوش، وحركاتها وانتصاراتها والقبائل التي شاركت فيها، وعلى عادات البلاد المفتوحة، وتقاليدها وأديانها، والخطط الحربية، وسير المعارك والبطولات الفردية، والجماعية، وأسباب النصر والهزيمة، فهي على هذا الأساس تعد سجلا تاريخيا حافلا بأخبار فترة مهمة من تاريخ الدولة العربية الإسلامية.

المحاضرة الخامسة: **الرثاء (شعر المراثي النبوية)**

تمهيد:

يعتبر غرض الرثاء من الأغراض البارزة في الشعر العربي، وخاصة الإسلامي منه، فقد بكى الشعراء من رحلوا عن دنياهم، والرثاء بكاء موغل في القدم، منذ وجد الإنسان نفسه على هذه الأرض ووجد أمامه هذا المصير المحزن (الموت)، وقد اتبع العرب في جاهليتهم طريق أبائهم في موقفهم من الموت والحياة، تغيرت أحوالهم بمجيء الإسلام وتغيرت معها نظرتهم للأمور، ففي الجاهلية وقف الإنسان عند الموت وفكر فيه، وانتهى إلى أنه حقيقة حتمية، فالموت قدر لا مفر منه، مما أدى إلى تسرب اليأس في نفوس وقلوب الشعراء الجاهليين، فما دام الموت يترصد كل ابن أنثى فليتزود من الدنيا بما استطاع وليغرق في ملذاتها، وبما أنهم لا يؤمنون بالبعث والحساب فقد ارتبطت قضية الخلود عندهم بالمروءة والكرم والشجاعة والقوة والثأر، ليظفر الجاهلي بالخلود بعد الموت بترديد اسمه بعد الموت على ألسنة الناس.

1-السياق العام لبروز المراثي النبوية:

لما جاء الإسلام اتضحت رؤية الشاعر الجاهلي الذي أسلم لمعالم الدين الجديد والتزم بتعاليمه، ورسم القرآن الكريم صورة واضحة لحقيقة الموت والبعث، وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تتحدث عن الموت والحياة والجزاء والبعث والفناء،نذكر منها قوله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾[1]، ويقول أيضا:﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾[2]، وكذلك قوله تعالى:

[1]- سورة النساء: الآية 78.

[2]- سورة النحل: الآية 96.

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾[1] كما يقول عز وجل: ﴿كل من عليها فان﴾[2].

بينما كان نبي الله **محمد صلى الله عليه وسلم** يعلم الناس دينهم، وكيف يختطون طريق حياتهم في رحاب الكون الفسيح، كان الزمن يفعل فعله، والحياة تمتد بعمره الكريم، إلى أن أتاه ملك الموت وانتقل إلى جوار ربه، وأفلت شمس الرسالة، وتسرب النبأ الفاجع، وأظلمت الدنيا، وفزع المؤمنون لهذا النبأ العظيم، وهم لا يصدقون وفاة الرسول **صلى الله عليه وسلم** حتى أن **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** كاد يخرج سيفه ليضرب عنق كل من يقول إن الرسول قد مات، لولا أن **الصديق أبا بكر رضي الله عنه** وقف بقلب مؤمن بقضاء الله مدركا لما يدور من حوله، وأيقن أن الباقي هو الواحد القهار، صمد أبو بكر للمصيبة العظيمة، وبقي يردد قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾[3] حينها فقط أدرك عمر خطأه وعاد إلى رشده، وأدرك المؤمنون أن الموت مصير محتم للنبي صلى الله عليه وسلم وللناس أجمعين، وانطلقت حينها ألسنة الشعراء تلهج برثاء النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر خصاله الكريمة ومناقبه العظيمة.

2-مواضيع شعر المراثي النبوية:

رغم الصدمة العنيفة التي أحدثها موت النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس المسلمين عامة، فإن الإيمان الراسخ في قلوبهم جعلهم يتقبلون الأمر بصبر وثبات على العقيدة، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتقل إلى جوار ربه، فإن رسالته الخالدة

---

[1]- سورة المؤمنون: الآية 115.

[2]- سورة الرحمن: الآية 26.

[3]- سورة آل عمران: الآية 144.

مستمرة إلى يوم القيامة، وقد عبّر معظم الشعراء عن أحاسيسهم بقصائد الرثاء[1]، يقول **حسان بن ثابت:**

بطيبة رسـم للـــرسول ومعهد * منير، وقـــد تعفو الرسوم وتهمد**

ولا تمتحي الآيات من دار حرمة * بها منبر الهادي الذي كان يصعد**

بينما استحالت المدينة إلى بركان من البكاء والعويل على نور المرسلين، كان الصحابة يتابعون تهدئة النيران التي اشتعلت في قلوب المسلمين بقراءة القرآن الكريم: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[2]، وقوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت،﴾[3]، كانت كلماته سبحانه وتعالى بلسما ومسكنا للمسلمين، فأخذت النفوس تهدأ شيئا فشيئا ثم يصلى عليه ويشيعونه إلى مثواه الأخير، إلا أن فراق الرسول الكريم أحدث فراغا رهيبا في قلوب المسلمين، وقرح العيون من ذرف الدموع، وكان الشعراء من الأوائل الذين أحسوا بهول فقده، وتأثروا لفراقه، وأولهم **حسان بن ثابت** شاعر الرسول والدعوة الإسلامية، يقول:

ما بـــــال عينيك لا تنام كأنما * كحلت مـــآقيها بكحـل الأرمـــد**

جزعا على المهدي أصبح ثاويا * يا خير من وطئ الحصى لا تبعد**

وقال يرثي خير خلق الله:

كان الضياء وكان النور نتبعه * نعد الإله وكان السمع والبصرا**

فليتنـــــــا يـــوم واروه بمده * وغيبوه ألـــــــقوا فوقه المدرا**

وقال أيضا:

---

[1]– واضح الصمد: **أدب صدر الإسلام**، ص 128.

[2]– سورة الزمر: الآية 31.

[3]– سورة آل عمران: الآية 185.

كنت السواد لناظري * فعمي عليك الناظر**

أحس حسان بغصة تحرق أنفاسه وكبده بفقد الرسول، فقد النبي ملهمه وسنده الذي يدعمه ويحثه ويستزيده نظم الشعر قائلا: «**أُهجهم وروح القدس معك**»، لذاك ليس غريبا أن تتقرح عيناه من البكاء، ويحزن عليه بوجد قاتل. ولم يكن حسان الوحيد الذي رثاه فهناك كثير من الشعراء رثوه، منهم **غنيم بن قيس المزني** الذي ذهل لوفاته فصرخ بأعلى صوته:

ألا لي الويل على محمد * فقد كنت في حياته مقعد**

وفي أمان من عدو ومعتد

إن رثاء الرسول: «شعر قيل في وفاة الرسول صلى الله غليه وسلم حزنا عليه، أو ثناء وترحما، أو غير ذلك من معاني الرثاء»،[1] ينصب في معانيه الأساسية على الإحساس بالفجيعة المرة لفقده، لأنه الوحي الملهم للمسلمين، والقائد المخطط لهم، يقوّم سلوكهم، فهو الهادي الأكمل خُلُقا وخَلْقا، لذلك كانت المصيبة في الرسول كبيرة، تتلخص معانيها وقيمها في رثاء **المغيرة أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:**

لقد عظمت مصيبتنا وجلّت * عشية قيل قد قبض الرسول**

وأضحت أرضنا مما عراها * تكـــــــاد بنا جوانبها تميل**

فقدنا الوحـي والتنزيل فينا * يـروح به ويـغدو جـبرئيل**

وكان الرسول مكملا بالأخلاق والجد، فهو رجل الحرب والأخلاق معا، وكان يتقدم إلى جهاد المشركين دون وجل أو خوف، وبذاك صار المثل الأعلى، ولهذا: «كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أعنف صدمة نفسية، وأشدها إيلاما للصحابة رضي الله عنهم فكان لها أن

[1]– محمد شمس عقاب: **المراثي النبوية: في أشعار الصحابة**، مكتبة الإمام البخاري للنشر، ط1، 2013، ص 166

تؤثر وتنشئ آثارا أليمة على نفوسهم[1]»، وقد أجمل **كعب بن مالك** صفات النبي الكريم النبيلة في هذه المرثية:

يا عيني فابكي بدمع ذرى * لخير البرية والمصطفى**

وبكّي الرسول وحُق البكاء ***عليه لدى الحرب عند اللقا

نخص بما كان من فضله * وكان سراجا لنا في الدجى**

وكان بشيرا لنا منذرا * ونورا لنا ضوؤه قد أضا**

لم يقتصر رثاء النبي على الشعراء الرجال فقط، بل إن هناك بعض الشاعرات ممن يمثلن الرثاء النسوي، بما تمتلكه المرأة من طبعها الرقيق الشفاف، والإحساس المتوقد فتضعف أمام المصاب وتذرف الدمع، وترفع الصوت دون خوف لتعبر عن مصيبتها، فهاهي **صفية بنت عبد المطلب** عمة الرسول تعبر عن حزنها بقصيدة منها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا**

وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا**

وتصور لنا ابنته **فاطمة** رضي الله عنها في قصيدة لها حزنها العميق، وهي تتفجر عاطفة ولوعة فالحزن يجري في قلبها وفؤادها، تقول في أبيات من مرثية للرسول:

اغبر آفاق السماء وكورت * شمس النهار وأظلم العصران**

فالأرض من بعد النبي كئيبة * أسفا عليه كثيرة الرجفان**

[1] – محمد الرابع الحسني الندوي: **الأدب الإسلامي وصلته بالحياة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ص 44-45.

وما نلاحظه في هذه المقطوعات هو أنها: «تمثل بعض الشعراء روح الإسلام وتوجيهاته عند نزول المصائب ووقوع الرزايا، فوصلت إلينا مراث نحس فيها بسماحة الإسلام وروح الرضا والصبر والطمأنينة التي أشاعها الإيمان الجديد في نفوس أتباعه[1]»، حيث أن قيم الرثاء في النبي لا تخرج عن جملة التعاليم والمعايير التي أرساها القرآن الكريم، وأوصى بها الرسول، مما فتح مشربا جديدا لشعراء الرثاء،والسير صوب الإذعان بالحقيقة.

2- خصائص وسمات شعر المراثي النبوية[2]:

- الإكثار من ذكر النبي والصلاة والسلام عليه في مستهل القصيدة وفي خضمها كما في نهايتها، ومثال ذلك قول **فاطمة** رضي الله عنها ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم:

وليبكه الطـود المعظم جـوّه * والبيت ذو الأستار والأركان**

يا خاتم الرسل المبارك صنوه * صلى عليك منزل القـرآن**

- التعبير عن الفاجعة التي أصابت المسلمين والصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونقرأ مثالا عنها في مرثية **أبي بكر الصديق:**

باتت تـأوّبني هموم حشد * مثل الصخور فأمست هدت الجسدا**

يا ليتني حيث نبّئت الغداة به * قالـوا: الرسول قد أمسى ميتا فقدا**

ليت القيامة قامت بعد مهلكه * ولا نـرى بـعده مـالا ولا ولـدا**

- التذكير بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قول **حسان بن ثابت:**

يدل على الرحمن من يقتدي به * وينقذ من هول الخزايا ويرشد**

إمام لهم يهديهم الحق جـاهدا * معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا**

---

[1]- سامي مكي: **الإسلام والشعر**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996، ص 140.

[2]- محمد شمس عقاب: **المراثي النبوية، في أشعار الصحابة**، ص 230-231.

عفـوّ عـن الـزلات يقبل عـذرهم * وإن يحسنوا فالله بالخير أجـود**

- التساؤل عن مصير المسلمين والحكم بعده، ملمحين إلى الصحابة من بعده بالثناء عليهم وباتصافهم بصفات الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما ذكره **عبد الله بن أنيس:**

فيا ليت شعري من يقوم بأمرنا * وهل لقريش يا إمام منازع**

- أما من الناحية الفنية فقد تميز هذا النوع من الشعر لغويا باستعمال ألفاظ دالة على الحزن، خاصة عبارة البكاء التي أوردوها في صيغ متعددة منها: بكت وتبكي وابكي وابك، وعبارة: الدموع، والتي بدورها ترسم صورا شتى، فالسماء والأرض ويثرب تبكي حزنا على ما ألّم بها من جراء هذا المصاب الجلل.

المحاضرة السادسة:	شعر النقائض

1- **مفهوم النقائض:** أصل مصطلح النقائض من الفعل اللغوي: نقض، وهو إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، والنقض ضد الإبرام، ونقض البناء والحبل والعهد ومنه المناقضة في الكلام والشعر، جمع نقيضة مأخوذ من نقض الشيء إذا هَدَمَه، ونقض فلان كلام فلان إذا أثبت بطلانه،[1] وهذا المعنى يتمثل في القصيدة الثانية التي يرد فيها الشاعر على القصيدة الأولى ليهدمها ويثبت بطلانها. وقد ورد في **الصحاح** المناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه، والنقيضة في الشعر ما ينقض به،[2] فالنقائض نمط شعري، وهو أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيا ومفاخرا، فيعمد الثاني إلى الرد عليه هجاء وفخرا أيضا، حيث يلتزم بالبحر والقافية وحرف الروي نفسها التي اعتمد عليها الشاعر الأول، وعلى ذلك فموضوع القصيدتين النقيضتين واحد، وكذلك موسيقاهما، ووزنهما، وقافيتهما، وكأن الشاعر الثاني يباري الشاعر الأول في ميدانه وبأسلحته يبطل فيها كل معانيه وأفكاره.

2-شعر النقائض:النشأة والتطور: لم تنشأ النقائض من فراغ، بل تطورت من فن الهجاء الجاهلي القديم، بحيث كانت له دوافعه وأسبابه وميزاته الخاصة، إذ أوجدته من البداية المنافسات القبلية على مواضع الماء والكلأ، كما أوجدته الحروب المستمرة بين القبائل، حيث كان الشعراء يهجون القبائل التي تناصبهم العداء، فقد ذهب أحمد الشايب إلى أن النقائض نشأت مع نشأة الشعر، يقول: «لذلك رأينا هذا الفن ينشأ في حظيرة الشعر الجاهلي طفلا يحبو، ثم تستقيم قدماه فينمو سريعا حتى نراه شابا قويا، ولاسيما في ضلال السيوف وبين

---

[1]- ينظر ابن منظور: **لسان العرب**، مج14، (مادة نقض)، ص 262.

[2]- إسماعيل بن حماد الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ص 1110.

(الأيام)»[1]، وفي الإسلام كذلك تهاجى شعراء الرسول ومنهم: **حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة..** مع شعراء المشركين وعلى رأسهم: **الزبعري وكعب بن الأشرف وضرار بن الخطاب**، وغيرهم:«فلما جاء الإسلام ظفر به فنا موطأ الأكناف، كثير الأبواب فاستغله في سبيل دولته»[2].

كانت عناصر هذا الهجاء في الجاهلية وصدر الإسلام بسيطة لا تعقيد فيها، حيث لم يتقيد الشعراء دائما بالرد على خصومهم بقصائد من نفس الوزن والقافية، وبنقض كل معنى من معاني هجاء خصومهم، وكان الهجاء يتوقف بتوقف الحرب. ولما جاء العصر الأموي تعقدت قصيدة الهجاء وتقيدت بقيود يلتزم بها الشاعر فلا يخرج عنها أبداً.

لقي الهجاء ميلاً واستحساناً من الناس، حيث كانوا يلتفون حول حلقاته ليستمعوا لمستجدات قصائد الهجاء ويستقون الأخبار عنها وعن نوادر نوادر أصحابها وطرفهم الشعرية. ثم عرف غرض الهجاء أوج تطورها في العصر الأموي: «حتى إذا جاء الأمويون أشعلوه نارا موقدة، كانت في نزعتها رجعة جاهلية، عاصفة في ظل الدولة الإسلامية»[3]، ويتحركون من شاعر لآخر ليهيّجوا الحماس ويثيروا النفوس، وأصبح همّ الشاعر منصبا على إرضاء الناس، وإثبات تفوقه على خصمه، الأمر الذي جعل هذا الهجاء يتحول إلى غرض جديد عُرف بالنقائض، وتحول من الهجاء الخالص إلى ضرب من ضروب الملاهي، وصار الشعراء يحترفون في هذا الفن ويتخصصون فيه: «وتحولت بذلك النقائض من غاية في الهجاء الخالص إلى غاية جديدة، هي غاية سد حاجة الجماعة الحديثة في البصرة إلى

---

[1]– أحمد الشايب: **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، مكتبة النهضة المصرية، ط4، ص 2.

[2]– المرجع نفسه، ص 2.

[3]– المرجع نفسه، ص2

ضرب من ضروب الملاهي»[1]. كما أصبح له جمهوره الخاص بسوق المربد بالبصرة، وسوق الكُناسة بالكوفة.

3-عوامل ظهور النقائض: يمكن أن نرجع نمو فن النقائض في العصر الأموي لعدة أسباب، يرجع بعضها إلى عوامل نفسية وسياسية واجتماعية وعقلية.

أ. **العوامل النفسية:** وهي ما عبر عنها الدارسون بـــ: المصدر النفسي، حيث إنه من البديهي أنّ من يبدأ بالفخر أو الهجاء فإنه – لا محالة – سيجد من يقف في وجهه مفندا عناصر فخره أو هجائه، منتصرا لنفسه أو قبيلته، أو بما يتعلق بهما.[2] وبالتالي تنشأ النقائض كنوع من رد الفعل، المنصرف للدفاع عن النفس وعن القبيلة، يمارس بها الشاعر حق الرد عمن يسئ إليه أو لقبيلته.

ب. **العوامل السياسية:** ترجع إلى تشجيع حكام بني أمية لصرف الناس عن السياسة والتفكير في الحكم، وقد اختارت الدولة الأموية **بشر بن مروان** ليكون واليها على العراق، وكان من مهامه إذكاء نار العداوة والخصومة بين الشعراء: «وأهم من وقفوا حياتهم على تنمية تلك القبلية، مستلهمين فيها ظروف العصر وأحداثه السياسية جرير والفرزدق[3]».

ت. **العوامل الاجتماعية:**لا غرو أنّ النقائض في هذا العصر قد أخذت من الحياة الاجتماعية وقودا لها من وهجها، وأبقى شعراءها أشد ولاء وأكثر عطاء لها، فقد كان **الفرزدق** أشدهم جاهلية ومفاخرة، **وجرير** أقبحهم سفاهة وأحسنهم إسلاما، **والأخطل** أحرص على نصرانيته وتغلبيّته، ولزم **ذي الرمة** البادية ووصفها ونسب وتشبب بميّ وخرقاء، وكان **الراعي** كذلك يعتسف في شعره الفلاة بغير دليل[4]، ونشأت النقائض تجسيدا لحاجة اجتماعية،

---

[1]– شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي**، ص 242.

[2]– أحمد الشايب: **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، ص 39.

[3]– شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي**، ص 242.

[4]– أحمد الشايب: **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، ص 180.

هي حاجة المجتمع العربي في العراق إلى ضرب من الملاهي، يقطع الناس به أوقاتهم الطويلة، كما كانت تشجع جماهير العرب وحث الشعراء على المزيد الأثر الكبير في إذكاء هذا الفن وتطوره. وتذهب بعض المؤلفات الحديثة إلى أن شعراء النقائض يقومون بها على سبيل التسلية والترويح عن النفس، أكثر مما يقصد به السباب والتهاجي، ويستدلون على ذلك بصداقة **جرير والفرزدق**، ورثاء **جرير** له بعد موته.

ث. **العوامل العقلية:** ومردها إلى نمو العقل العربي ومرانه الواسع على الحوار والجدل والمناظرة في الملل والنحل السياسية والعقدية والفقه والتشريع،وعلى ضوء من ذلك كله أخذ شعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل، ومفاخرها ومثالبها، بحيث كانت المحاورات والمناقشات تدور في المجالس والمساجد بل حتى في الطرقات والأسواق، ومثال ذلك أخذ شعراء النقائض يتناظرون ويتفاخرون في مفاخر القبائل ومناقبها.وكانت هذه المناظرات تتخذ سوق المربد بالبصرة والكُناسة بالكوفة مسرحين لها، فالشعراء يذهبون إلى هناك، ويذهب الناس إليهم، ويتحلقون حولهم ليروا لمن تكون الغلبة[1].

3- **بداية شعر النقائض:**مما وصل إلينا من نقائض العصر الأموي، ويعد أشهر النقائض ما كان بين جرير والفرزدق والأخطل: «ولم تكن نقائض جرير والفرزدق إلا هذا الفن الجديد، الذي وجدت فيه البصرة ما تريد من لهو وتسلية وقطع وقت أو فراغ، فهي اللعبة التي يعجب بها القوم، والتي كانوا يخرجون للفرجة عليها في هذا المسرح الكبير، مسرح المربد الكبير الذي كانت تختلف إليه القبائل والجماهير»[2]، وهؤلاء هم الشعراء الذين اكتملت صورة النقائض الفنية على أيديهم، فقد اندلعت شرارة النقائض حين هجا **جريراً** شاعرٌ

[1]- شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي**، ص 242.

[2]- المرجع نفسه، ص 166-167.

من عشيرة سُلَيط اليربوعية التميمية يدعى **غسان السُّليطي**، فرد عليه **جرير** بهجاء مُر، فاستغاث منه **غسان بالبعيث المجاشعي**، فأغاثه بقوله في **جرير** وعشيرته[1]:

أترجو كُليبٌ أن يجيء حديثُها * بخيرٍ وقد أعيا كُليباً قديمها**

كُليبٌ لِئام النــاس قد يعلمونها * وأنت إذا عُدّت كُليبٌ لئيمها**

فأجابه **جرير** بنقيضة أوّلها:

أَلا بَكَرَت سَلمى فَجَدَّ بُكورُها * وَشَقَّ العَصا بَعدَ اجتِماعٍ أَميرُها**

ثم صب عليه وعلى **مجاشع** شواظا من النار، وأفحش بنسائهم إفحاشا شديداً جعلهن يستغثن **بالفرزدق**، وكان معتكفاً على حفظ القرآن يريد أن يبدأ سيرة جديدة، فما زلن به يستثرنه قائلات إن **جريراً** هتك عورات نسائك وظللن عليه حتى هجاه، واستطار الهجاء بينهما، وامتدا به، لا إلى عشيرتيهما فحسب، بل إلى قيس وتغلب وتميم أيضاً. وانزلق في هذه المناظرة كثير من الشعراء تحيزوا **للفرزدق** على **جرير**، فكان يشوي وجوههم ووجوه عشائرهم بهجائه، فينسحبون منهزمين، كذلك **الراعي النميري** أوقعه سوء حظه في تفضيل **الفرزدق** على **جرير**، وهجاه بقصيدة بائية فنظم **جرير** نقيضة هجاه وهجا الفرزدق فيها[2]، منها قوله:

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ * فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا**

كان **الأخطل**،في أثناء ذلك، يرقب المعركة بينهما، وهو تغلبي نصراني، كان ناقماً على **جرير** لمدحه قبيلة قيس المعادية لتغلب، كما كان ناقمًا عليه لمزاحمته إياه في بلاط بني أمية،

---

[1]– شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي** ص 243.

[2]– المرجع نفسه، ص 244.

وتحرش به بأن فضل عليه **الفرزدق** في مجلس **بشر بن مروان**، وسرعان ما جاء رد **جرير** في قصيدة يهجوه ويهجو **الفرزدق**، يقول فيها:

يا ذا العَباءَةِ إنَّ بِشراً قَـد قَضى * أَن لا تَجوزَ حُكومَةُ النَشوانِ**

فَدَعوا الحُكومَةَ لَستُمُ مِن أَهلِها * إنَّ الحُكومَةَ في بَني شَيبانِ**

وعلى إثر هذا استطار الهجاء بينهما، ولم يكن على **جرير** أن يرد على **الفرزدق والأخطل** وحدهما، بل كان عليه أن يرد أيضاً على كثير من الشعراء، ولكن الأمر الذي لا شك فيه أن تغلّب **جرير** على هذا العدد الهائل من الشعراء يدل على مقدرة فنية هائلة.

4- مقومات النقائض: يرتكز فنا الفخر والهجاء في النقائض على مقومات، وهي:

1) ذكر الأيام: المقصود بها ذكر أيام العرب في الجاهلية والإسلام، وما خاضته القبائل العربية من حروب، وكانت أيام الجاهلية أشد ظهورا في نقائض **جرير والفرزدق**، في حين كانت الأيام الإسلامية أشد ظهورا في نقائض **جرير والأخطل**، وكان على شعراء النقائض أن يلموا إلماماً واسعاً بأيام العرب، خاصة الأيام التي شاركت فيها قبيلة الشاعر أو القبائل المعادية، حتى يتمكن من هجاء خصمه، وعرف **الفرزدق** بسعة اطلاعه على أيام العرب وأخبارها ووقائعها، حتى قالوا: لولا **الفرزدق** لضاع نصف أخبار الناس. ومن يراجع شرح **عبيدة** لنقائض **جرير والفرزدق**، «يجده يستعين على شرحه لها بأيام العرب، ذلك لأن الشاعرين لم يتركا يوما للقبائل التي يتحدثان عنها دون أن يذكراه، فجرير يتحدث عن أيام يربوع وقيس، والفرزدق يتحدث عن أيام مجاشع وتميم، وقد يضيف إلى ذلك حديثا عن أيام

تغلب انتصارا للأخطل، وهما لا يتحدثان عن أيام الجاهلية فحسب، بل يتحدثان عن أيام الإسلام[1]».

2)الأنساب: أبرزت النقائض بما أثارت من عصبيات أهمية الأنساب، فقد كانت من المغامز التي يهاجم بها الشعراء خصومهم، فيشكّكون في نسبهم، أو يتلاعبون به تلاعباً شديداً، فينفون خصومهم عن قبائلهم، وتارة يلحقونهم بها على أنهم عبيد لها أو أدعياء بها، أو أنهم من فروعها التي لا شأن لها. وقد أصاب ذلك الأخطل كثيرا، فقد وجه له جرير نقدا لاذعا بسبب عدم إسلامه ومن أمثلة ذلك قوله فيه[2]:

إنّ الــذي حـرّم المـــــكارم تغلبا * جعل النبوة والخـــــلافة فينـا**

فهل تملكون من المشاعر مشعرا * أو تشهدون مع الآذان أذينا**

مضر أبـي وأبـو الملوك فهل لكم * يــا خزر تغلــب أب كــأبينا**

وقوله في قومه[3]:

وتغلب لا يصاهرهم كريم * ولا أخوال من ولدوا كرام**

3) الأحساب: المراد بالأحساب: كل ما يعتز به الإنسان من أمجاد ومفاخر وغنى أودين أو كرم، وقد ذكر **الفرزدق** بعض مآثر قومه في مطلع قصيدته أو نقيضته التي يرد بها على **جرير**، إذ يقول:[4]

---

[1]– شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي**، ص 245.

[2]– جرير: **الديوان**، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986، ص 416.

[3]– محمد نجيب: **شرح ديوان جرير**، ج1، دار المعارف، مصر، 1969، ص 416.

[4]– أبو عبيدة المثنى: **نقائض جرير والفرزدق**، ج1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص 414.

منا الذي اختير الرجــال سماحة * وخيرا إذا الريـــــاح الزعازع**

ومنا الذي أعطى الرسول عطية * أســارى تميم والعيون دوامع**

ومنا خطيب لا يعاب وحـــامل * أغر إذا التفت عليه المجامع**

لذلك وجدنا فحول شعراء النقائض يحرصون على إذاعة مآثر قبائلهم، فرأينا لكل من: دارم ويربوع وقيس وتغلب وتميم واليمن مآثر تنشر ومثالب تذاع، وحرمات تنتهك، وأعراضاً تمزق وأحقاداً تنبش.

5-خصائص النقائض:

1. تتميز النقائض بألفاظها الجزلة والسهلة والعذبة الرقيقة، وهي تعكس بوضوح البيئة الأموية من ناحية الترف ونعومة العيش.

2. توافر ثلاث وحدات:وحدة الوزن والموضوع والقافية، مع ضرورة التزام القالب الشعري الذي بدأ به الخصم، أما وحدة حركة حرف الروي (المجرى) فأكثر النقائض تلتزمها، وبعضها لم تلتزم بها اكتفاء بالتزام حرف الروي.

4. التأثر بألفاظ القرآن، إذ عاش شعراء النقائض في بيئة إسلامية، فدخلت المعاني الإسلامية في صلب النقائض فخراً وهجاء.

5. طالت النقيضة لاختلاط العصبية القبلية بالسياسية، فكانت النقيضة تخوض في مديح الخلفاء والولاة، ويقدم الشاعر لكل ذلك ببكاء الأطلال ووصف الرحلة والنسيب وغيرها من مقدمات ومضامين الشعر الجاهلي.

6. توليد المعاني والصور، خيال شعراء النقائض خصب جدا، يبتكرون الصور ويبالغون في المعاني، ويخترعون الوقائع والحوادث حتى ولو كان كذبا وبهتانا، كما انشغل **جرير** بفكرة القين، والحدادة عند **الفرزدق** فولّد منها المعاني، وتعمق فيها.

6. اعتماد أسلوب السخرية، ففيه إسفاف وتشنيع الخصم، وفي نقائض **جرير والفرزدق** أمثلة لا حصر لها على ذلك.

المحاضرة السابعة: **الشعر العذري والشعر العمري**

تمهيد: تعدّدت المدارس الأدبية والشعرية، وشاعت فنون الشعر وألوانه على مرّ العصور، ويعتبر الغزل العذريّ من ألمع الأشعار الوجدانية التي تركت بصماتٍ على صفحات تاريخ الأدب العربي، لذلك ومن خلال هذه المحاضرة يمكن الاطلاع على مضامين واتجاهات هذا الغزل وتاريخه، والتعرف على خصائصه، وعلى مختلف المشاعر الوجدانية التي تجود بها قرائح الشعراء حول هذا المضمون المستحب من طرف الشعراء والجمهور معا، لما يحققه من تنفيس عاطفي للطرفين معا، خاصة في وسط مجتمع قبلي ينظر إلى الغزل كمثلبة، قد تؤدي إلى حرمان الشاعر من وصال المرأة التي أحب وتجرأ عليها غزلا، بيد أن هذا المنع والتحريم عادة ما كان يفضي إلى إصرار أكبر من الشاعر للخوض في سيرة من أحب، ربما لأن سلطان الحب كان أقوى من ممنوعات السلطة القبلية.

1- **مفهوم الغزل:**الغزل فنٌّ شعري يهدف إلى التّشبّب بالحبيبة ووصفها عبر إبراز محاسنها ومفاتنها، والغزل هو حديث الفتيان مع الجواري. ومغازلة النساء: محادثتهن ومروادتهن. كما يعني حدثي الفتيان والسيدات. والتغزل تكلف ذاك[1]. وهو ينقسم إلى قسمين: الغزل العذري، والغزل العمري، أو ما يعرف بالغزل الماجن أو الإباحي.

أ- **مفهوم الغزل العذري:** الغزل العذري هو من الفنون الشعرية التي تنمو فيها حرارة العواطف الطاهرة العفيفة التي يستخدمها الشاعر لإبراز مكابدة العشق، وآلام الفراق والبعد عن الحبيبة. وهذا النوع من الشعر يعبر عن العواطف المتعففة والملتهبة، في وقت واحد. فالشاعر الذي لم يقترن بحبيبته يجد في الشعر تعويضا مناسبا، يمكن أن يطفئ به لهيب حبه وشوقه، ويترفع فيه عن غرائزه.[2] وهذا الغزل يبتعد عن وصف المحاسن المحبوبة

---

[1]- ينظر ابن منظور: **لسان العرب**، ج10، مادة (غزل)، ص 65.

[2]- سراج الدين محمد: **الغزل في الشعر العربي**، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص 20.

الجسدية، ويقتصر على إظهار المشاعر الجيّاشة اتجاهها. وقد كان **قيس بن الملوّح** أشهر شعراء الغزل العذري.

ب- **تاريخ الغزل العذري:** ينسب الغزل العذري إلى بني عذرة، الذين اشتهروا بهذا النوع من الغزل، لدرجة أنه سمي باسمهم. ثم انتشر وشاع عند القبائل، ومنهم بنو عامر الذي نشأ في كنفهم **قيس بن الملوح**. لكن بدايات هذا الغزل تمتد إلى العصر الجاهلي الذي انتشر في نهاياته بصفة خاصة، حيث كان الغنى والترف يعمّ بعض القبائل. أمّافي العصر الإسلامي فقد قلّ هذا الغزل، مع دخول الناس في الإسلام وتغلغل التقوى إلى نفوسهم، وبالتالي ترفعهم عن هذا الغرض الشعري الذي يبدو متنافيا مع الشريعة الإسلامية. ولكن بمرور الزمن عاد الشعراء إلى الغزل العذري، وقد بلغ ذروته في العصر الأموي، عندما بدأت حياة اللهو والثّراء والرّفاهيّة تدب في المجتمع العربي مجددا.

ج- خصائص الغزل العذري: الغزل العذري كسائر الأنواع الشعرية، يتمتّع بخصائص متعدّدة تميّزه عن الأنواعِ والأغراض الأخرى، فهو أولاً: يختصّ بالعفّة والطّهارة. حيث يبتعد الشّاعر عن سوء الخُلق وعن اللجوء إلى المجون والإباحية في وصف محاسن ومفاتن المرأة. حيث انطلق الشعراء يغنون عواطفهم ويصفون آلامهم وأمالهم،[1] وهذا ما يظهر في هذا البيت الشعري **لقيس ليلى:**

سقتني شمسٌ يُخْجِلُ البدرَ نورُها * ويكسفُ ضوءَ البرقِ وهو بروق**

كما اعتمد الشعراء أسلوب إظهار المعاناة والألم نتيجة البعد عن الحبيبة والفراق بينهما، فقد قال الشاعر **قيس:**

فإن تكُ ليلى بالعراق مريضةٌ * فإنّي في بحر الحتوف غريق**

كما أن الشعراء تغزّلوا بمحبوبةٍ واحدة طوال حياتهم، فكان هذا أكبر دليل على وفاء الشاعر وصدق مشاعره تجاه محبوبته، ويمكن تأكيد ذلك من خلال قول الشاعر **كثيّر عزّة:**

---

[1]- سراج الدين محمد: **الغزل في الشعر العربي**، ص 20.

ويحسبُ نسوانٌ لهنَّ وسيلةً * من الحبِّ، لا بل حبُّها كان أقدمَا**

إضافةً إلى ذلك، أسهب الشعراء في استخدام أسلوب النداء في قصائدهم مناجاة لمحبوباتهم. ويمكن رؤية ذلك في البيت الآتي **لجميل بن معمر**:

ألا ليتَ ريعانَ الشبابِ جديدُ * ودهرًا تولى يا بثينَ يعودُ**

عبّر الغزل العذري، منذ نشأته، عن وجدانية الشّاعر وعواطفه الجيّاشة الصّادقة اتجاه معشوقته، فهو يعبّر عن أعمق المشاعر التي سعى إلى سبْر أغوارها وكشْف مكنوناتها، والتي تمثل التّعبير الحقيقي عن الحبّ والعشق المتين الذّي لا يتزعزع أمام عثرات الزمن، فقد قال **قيس**، بعد أن حاول شفاء روحه من سقم الحبّ الذي ألمّ به جرّاء تعلّقه بليلى، وهو يخاطب روحه، ويحاور ذاته، ويناجي قلبه:

أَمَا عَاهَدْتنِي يا قَلبُ أَنِّي * إذا ما تُبْتُ عن ليلى تَتُوبُ**

فَهَا أنا تائِبٌ عن حُبِّ ليلى * فمَا لك كُلّمَا ذُكِرَتْ تَذُوبُ**

كان الغزل العذري وما يزال يعبّر عن مرارة السهر والأرق، وعن مشاعر الألم والمعاناة لدى الشّاعر، وسبب ذلك هو فراقه عن محبوبته، والبعد عنها جرّاء عوامل قصريّة. فقد قال **قيس مجنون ليلى** التي اشتهر بحبه لها[1]:

أظلُّ رَزِيحَ العقلِ ما أُطْعَمُ الكرى * وللقلبِ مِنّي أنّةٌ وخُفُوقُ**

وتبرز الوجدانية في أشعار الغزل العذري، حين يواجه الشاعر **قيس بن الملوح** قَدَرَهُ المحتوم بحب ليلى، ويعبر عما يجيش في داخله من حرقة وحسرة، وهمٍّ وغمٍّ، وذلك حين قضى الله بأن تكون من نصيب غيره، وترك له النواء والبكاء، والشكوى والبلوى. ولا سلوى له غير الشعر حين ينشد:

خليليّ لا والله لا أملك الــذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا**

قضاها لغيري وابتلاني بحبّها * فهلا بشــيء غيــر ليلـــى ابتلانيا**

---

[1]– حسّان أبو رحاب: **الغزل عند العرب**، مطبعة مصر، القاهرة، ط 1، 1947، ص 197.

وهكذا كانت المواقف الوجدانية عند شعراء الغزل العذري عطورًا زكية سحرت قلوبهم. فكان الشعر الغزلي، أداتهم للتعبير عما يجول في نفوسهم من مشاعر لُوِّنَتْ بألوان الفرح والمناجاة والعتاب والحزن والتشاؤم.

د- مفهوم الغزل العمري: هو الشعر الذي طرح فيه **عمر بن أبي ربيعة** معاني غزلية لم تكن في متناول الشعراء، الذين سبقوه أو عاصروه، فقد كان جريئا جدا على المعاني وعلى النساء وعلى المتلقي العربي، الذي اعتاد إخفاء عواطفه وتجاربه مع النساء. لكن الشعر العمري يعتبر في المقابل شعرا واقعيا، يعكس نفسية بعض النساء ومدى تأثير حياتهن المترفة على حياتهن العاطفية والجنسية.[1]

هـ- تاريخ الغزل العمري: شكل شعر **عمر بن أبي ربيعة** موضوعا لدراسات كثيرة، اتفق بعضها على أنّه امتداد لشعر **امرئ القيس** في استهتاره ومجونه، لكنه ربما كان يبدو أكثر جرأة منه، حيث: «يؤسس شعر **عمر أبي ربيعة** ما يمكن تسميته بالنزعة الشهوية أو الإباحية في الشعر العربي، وهو في ذلك يتابع ما بدأه **أمرؤ القيس**»[2]، وقد اهتم الدارسون والمتتبعون لخط سير الشعر العربي بشعر **عمر بن أبي ربيعة**، بوصفه ظاهرة جديدة في الشعر، وهذا خلافا لما عرف عند شعراء الغزل الذين سبقوه أو عاصروه،حيث جعل نفسه محور القصيدة الغزلية، وهو مطلب النساء ومعشوقا لهن لا عاشقا، وبالتالي: «فقد تحول بشعره يملؤه تيها بنفسه (...) فهو لا يشكو الغرام والعشق، بل محبوبته هي التي تشكو من ذلك، فهي التي تحيطه بشباك التضرع والاستعطاف، وهي التي تتعذب في حبه وتتمنى لو تراه، واسمعه يقول على لسان إحدى صواحبه[3]:

---

[1]- سراج الدين محمد: **الغزل في الشعر العربي**، ص 20.

[2] - محمد سعيد أدونيس: **الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والإتباع عند العرب**، ج1، دار الساقي، بيروت، ط7، 1994، ص269

[3]- شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي**، ص 352.

تقول إذا أيقنت أني مفارقها * يا ليتني مت قبل اليوم يا عمر**

ويقول على لسان ثانية:

ما وافق النفس شيء تُسرّ به * وأعجب العين إلا فوقه عمر**

ويصور انشغال ثلاث أخوات به، فيقول:

قالت الكبرى أتعرفن الفتى * قالت الوسطى نعم هذا عمر**

قالت الصغرى وقـد تيمتها * قد عـرفناه وهل يخفى القمر**

والملاحظ أن في شعره الغزلي تفرد غير مسبوق البتة، بعد أن حوّل المرأة من مطلوبة معشوقة إلى طالبة عاشقة، وجعل موضوع الحب وأحاديثه مشتركة بينه وبين النساء، بعد أن كانت الشكوى وآلام الحب والوجد جزءا من معاناة الرجل (الشاعر العاشق) وحده، تقوده عاطفته التي شذت به عن المعتاد، وجعلته يصور النساء وهن اللائي يطلبنه،في حين أنه صور نفسه في حالة تدلل عليهن.

ومن أشعاره التي يصور فيها الحب على أنه عاطفة مشتركة بينه وبين النساء، قوله:

قالت لترب لـها تـحدّثــها * لنفسدنّ الطواف فـــي عمـر**

قـومي تصدّي لـه ليعرفنا * ثم أغمزيه يـا أخت فـي خفر**

قالت: لـها قد غمزته فأبى * ثم اسبطرّت تسعى على أثري**

جعلت هذه القصائد الغزلية شعر **عمر بن أبي ربيعة** يتميز بميزة خاصة، فلا شعره كان كشعر العذريين، ولا كشعر الإباحيين، الذي يكتفي بتصوير الحس، لأنه لم يكن ساعيا وراء موضوع المجون، بقدر ما كان حرية يتمتع بها، وعن نظرته للمرأة على أنّها مكملة

للرجل،لذلك نراه استقل بطريقته في الغزل، وتفوق على زملائه الشعراء، يقول عنه **الرافعي:** «هو الذي استقلت له هذه الطريقة وكان أوّل من شهر بها، فبرع عن نظرائه بسهولة الشعر وشدة الأسر وحسن الوصف وإرسال شعره قصصا غزلية، حتى كأنه إنما يدون فيه تأريخ قلبه، ولذلك فتن الناس به»[1].

و- خصائص الشعر العمري: من سمات الشعر العمري الأساسية جمعه بين الحداثة والتقليد، حتى وإن بدا مجاهرا بحبه وشغف النساء به، وتجرأه على الشريفات من المسلمات والتشهير بهن، وجعلهن موضوعا لشعره الغزلي، إلا أننا نجده وفيا في كثير من قصائده للقصيدة والشعرية العربية، كما في قوله:

أمن آل نـــعم أنت غـــاد فمبكر * غـــــداة غـــد أم رائـــــح فمهجر**

لحاجة نفس لـم تقـل فـي جوابها * فتبلغ عـــــذرا والمقـالة تـــــعذر**

تهيم إلـــى نعم فلا الشمل جـــامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر**

ولا قـــــــــرب نعم إن دـــــنت * ولا نـــأيها يســـــلي ولا أنت تصبر**

كما يغلب على أشعار **عمر بن أبي ربيعة** الطابع القصصي، حيث تبدو قصائده كأنها ملخصا لحوادث معينة أو وقائع حقيقية أو مغامرات مرّ بها مع فتيات، وبهذه الخاصية يتضح لنا أنّ المغامرة والحب شعور مشترك بينه وبين المرأة، موضوع القصيدة، يقول:

وليلة ذي دوران جشمتني السرى * وقد يجشم الهول المحب المغرّر**

فبتّ رقيبا على الرفاق عـلى شفا * أحـــاذر منهم من يطوف وأنظر**

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي: **تاريخ آداب العرب**، ص 104.

إليهم متى يستمكن النــوم منهم * ولــي مجلس لـولا اللبانة أوعـر**

وباتت قلوصي بالعراء ورحلها * لـطارق ليل أو لمن جــاء معور**

وبتّ أنــاجي النفس أيــن خباؤها * وكيف لما آتــي من الأمر مصدر**

يغلب على مقاطع عمر الشعرية سمة الحوار، وهي سمة تتماشى مع أسلوب القصّ الذي ميز طريقته في عرض المعاني، ويتجلى الحوار في كثير من مقاطع عمر الشعرية، خاصة الحوار فيما بينه وبين إحدى النسوة، أو مع مجموعة من النساء، وهذا له دلالات كثيرة، فمن جهة يعتبّر هذا طريقة في النظم، على أنّ الغزل عنده لم يكن بغاية التشبب بالنساء، بقدر ما هو إظهار لطبيعة علاقته بهن، وهي علاقة محبات بمحبوب، ويدل ذلك، من جهة أخرى، على أن عمر يعيش خلافا لشعراء الغزل العذري حالة زهو وفرح كلما وجد نفسه أمام علاقة، إن لم نقل مغامرة، كما يتضح من خلال قول أحد الدارسين عنه إنه: «أبدع في معظم قصصه الغرامي البارع الوصف والذي يتخلله حوار متماسك، نابض بالحياة»[1]:

فلما تقضى الليـــــــل إلا أقله * وكــادت توالـــــــي نجمه تتغور**

أشــارت بأن الحيّ قد حان منهم * هبوب ولكن موعدك لك عـزور**

فما راعنـــي إلا مناد ترحلـــــوا * وقد لاح معروف من الصبح أشقر**

ويدخل في حوار مع محبوبته عساه يتفق معها على حلّ لما ألّم بهما، دون أن يفتضح أمرهما، فيقول:

فقالت أتحقيقا لما قال كاشح * علينا وتصديقا لما كان يؤثر**

---

[1] – كمال خلايلي: **جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي**، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1993، ص 61.

فـإن كـــان لا بدّ منه فغيره * من الأمر أدنى للخفاء وأستر**

يعمد **عمر بن أبي ربيعة** إلى استخدام اللغة السهلة، وتوظيف العبارات والصور والأصوات والأوزان التي تتلاءم مع الغناء، كأوزان السريع والخفيف والوافر والرمل والمتقارب، كما بنى شعره على المجزوءات، حتى يتسنى للمغنين إنشادها وتطبيق الألحان عليها.[1]

[1]– شوقي ضيف: **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، دار المعارف، مصر ط5، ص 60.

" نصوص تطبيقية"

نّص من الشعر الجاهلي

(لاميّة السّموأل)

ترجمة الشاعر والمناسبة باختصار:

هو السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي يهودي حكيم، واسمه معرب من الاسم العبري: عن العبرية شْمُوئِيل، من شِيم: اسم، إِيلْ: الله، أي سمّاه الله، عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي. كان يتنقل بين خيبر وبين حصن له سماه الأبلق، وكان حصن الأبلق قد بني من قبل جده عادياء. والأبيات هاهنا تعتبر من أشهر أشعاره، قالها عندما أجار ابنة الملك المنذر عندما فرت من بطش **كسرى** فارس، يقول:

إذا المَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِن اللُّـؤْمِ عِرْضَهُ*** فكُـلٌّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَـمِيلُ

وإِنْ هُو لَمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها *** فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سبيلُ

وقائِلَةٍ: مـا بـالُ أُسْرَةِ عـادِيا *** تَبارَى، وفِيهِمْ قِلَّةٌ وخُمُـولُ

تُـعَيِّرُنا أَنَّـا قَلِـيلٌ عَـدِيدُنا *** فقلتُ لـها: إِنَّ الكِـرَامَ قَلِيلُ

ومـا ضَرَّنـا أَنَّـا قَـلِيلٌ وجَارُنـا *** عَزِيزٌ، وجـارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

ومـا قَتلَّ مَنْ كـانَتْ بَقاياهُ مثْلَنا *** شَبابٌ تَسامَى لِلْعُـلا وَكُهُولُ

لَنـا جَبَـلٌ يَحْتَلُّـه مَـنْ نُجِيره *** مُنِيفٌ، يَردُّ الطَّرْفَ وهْوَ كَلِيلُ

رَسَـا أَصْلُه تَحْتَ الثَّرَى، وسَما بِهِ *** إِلى النَّجْمِ فَرْعٌ لا يُنال طَوِيل

هـو الأَبْلَقُ الفَرْدُ الذي سـارَ ذِكْرُهُ *** يَعِزُّ على مَنْ رَامهُ فيَطُـولُ

وإِنَّـا لَقَوْمٌ ما نَرَى القَتْلَ سُبَّةً *** إِذا مـا رَأَتْـهُ عـامِرٌ وَسُلُـولُ

يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجـالَنَا لَنـا *** وتَكْرَهُـهُ آجالُـهُمْ فتَطُولُ

ومـا مـاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ *** ولا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كـانَ قَتِيلُ

تَسِيل علـى حَدِّ الظُّباتِ نُفُوسنا *** ولَيْسَتْ على غَيْرِ الظُّباتِ تَسِيلُ

نص من شعر المعلقات.

يقول امرؤ القيس في معلقته:

قفا نبك من ذكـرى حبيب ومنزل ** بسقط اللّوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها *** لما نسجتها من جنوب وشمأل

تـرى بعر الأرآم فـي عرصاتها *** وقيعـانها كـأنّه حـبّ فـلفـل

كأنّـي غداة البين يوم تحملوا *** لـدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقوفا بها صحبي علـيّ مطيّهم *** يقولـون لا تهلك أسـى وتجمل

وإنّ شفائـي عبرة مهراقـة *** فهل عند رسم درس من معـوّل

قال عنترة بن شدّاد في معلقته:

هل غادر الشعراء من متردّم *** أم هل عرفت الدار بعد تـوهم

يا دار عبلة بالجـواء تكلّمي *** وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فـوقفتُ فيها ناقتـي وكـأنّها *** فدن لأقضي حـاجة المتلوّم

وتحلّ عبلة بـالجواء وأهلنـا *** بالحزن فالصمـان فـالمتثلّم

حييت من طلل تقـادم عهده *** أقـوى وأقفـر بعـد أمّ الهـيثم

نصوص من شعر الصعاليك.

تأبطُ شراً:

ألا مَن مُبلِغٌ فتيـــانَ فـــهْمِ *** بما لاقيتُ عندَ رحـــى بطانِ
فإني قـد رأيتُ الغولَ تهوي *** بسـهبٍ كالصحيفة صَحصَحانِ
فقلتُ لـــها: كِلانـا نِضْوُ أينٍ *** أخـو سفرٍ، فخلي لـــي مكانِ
فشدت شـــدةً نحوي، فأهـوى *** لـها كفي بمصقولٍ يمـــــاني
فـأضربها بـلا دَهـشٍ فخرتْ *** صـــريعاً لليدينِ وللـــــجرانِ
فقالت: عُدْ، فقلتُ لها: رُويداً *** مكـانـــكِ! أننـــي ثَبتُ الجِنانِ
فـلم أنفـــك متكئاً عليـــــها *** لأنظـرَ مُصبحاً مـــاذا أتانـــي
إذا عينانِ فـــــي رأسٍ قبيحٍ *** كـــرأسِ الهرِ مشقوقَ اللســـانِ
وساقـاً مُخدَج وشـــواة كلبٍ *** وثـوبٌ من عَبـــاءٍ أو شنـــانِ

يقول الشاعر الصعلوك أبي كبير الهذلي:

فـإن تزعمي أني جبنتُ فإنني *** أفـــر وأرمـــي مرة كـــل ذـــلك
أقاتل حتى لا أرى لي مُقاتلاً *** وأنجو إذا ما خفتُ بعض المهالك

يقول السليك بن السلكة، وهو أحد شعراء الجاهلية الصعاليك:

فلا يصلى بصعلوك نَئـوم *** إذا أمسـى يُعـد من العيـالِ
ولكن كل صعلوكٍ ضروبٍ *** بنصل السيف هامات الرجالِ

نّص من شعر صدر الإسلام

(الإعتذارية)

قال كعب بن زهير في مدح الرسول(صلى الله عليه وسلم):

بـانَتْ سُـعاد فقلبــي اليـومَ متبــولُ*** مُتَيَّمٌ إثرَها لـمْ يُجْـزَ مَكْبــــــــُول

وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلـــــــوا*** إلاّ أغَنُّ غضيضُ الطَّرفِ مَكْحـولُ

هيفاءُ مُقبِلـــــة عجـــزاءُ مُدْبـــرَة *** لا يُشْتَكَى قِصَرٌ منها ولا طُـــــولُ

تجلو عوارض ذي ظَلَم إذا ابتسمت *** كأنّـــه مَنْهَلٌ بالراحِ مَعلـــــــــولُ

شُجّتْ بذي شَبَمٍ من مـــــاءِ مَحْنِيَة *** صافٍ بأبطح أضحى وهو مَشْمُولُ

يـــــا ويحَها خُلَّةً لو أنّها صَدَقَتْ *** ما وَعَدَتْ أو لَو أنّ النُّصْحَ مَقْبــوُلُ

لكنّها خُلَّةٌ قـــد سِيطَ مِـــنْ دَمِها *** فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخلافٌ وتَبْدِيـــــــــلُ

فما تدومُ علـــى حـــالٍ تكونُ بها *** كما تَلَّونُ في أثوابِها الغُـــــــــول

ومـــا تَمَسَّكُ بالوَصْلِ الذي زَعمت *** إلاّ كما تُمسكُ الماءَ الغرابيـــــــــل

كانتْ مواعيدُ عُرقـــوبٍ لها مثلاً *** وما مواعيدُها إلّا الأباطيـــــــــلُ

فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ ومـــا وَعَدَتْ *** إنّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليـــــــلُ

أمستْ سعـادُ بـأرضٍ لا يُبَلّغُهـا *** إلّا العتاقُ النَّجيباتُ المراسيـــــــلُ

ولـــن يبلِّغَها إلاّ عُذافـــــــرَةٌ *** فيها على الأينِ إرقالٌ وتبغيـــــــلُ

تَرمـي الغُيوبَ بِعَيْنَي مُفْرَدٍ لَهَقٍ *** إذا تَوَقَّدَتِ الحزَّانُ والمِيـــــــــلُ

ضَخْـــــــــمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها *** في خَلْقها عن بَناتِ الفحلِ تفضيلُ

خْدي علـــــى يَسَراتٍ وهي لاحقةٌ *** ذَوابـــــلٌ وَقعهنّ الأَرضُ تَحليلُ

يَسْعَى الوشـــــاةُ بجَنْبَيها وقولُهُمُ: *** إنّك يا ابنَ أبي سُلْمَى لمَقتـــــولُ

وقال كـــــــلُّ خليلٍ كنت آمُلُهُ:*** لا أُلْفِيَنَّكَ إنّي عنكَ مشغـــــــولُ

فقلتُ خلّوا طَريقي لا أبـــــا لكمُ ***فكلُّ ما قدَّر الرحمنُ مفعـــــــولُ

كل ابنِ أُنثى وإن طـالت سلامَتُهُ *** يومًا على آلةٍ حدباءَ محمـــــــولُ

أُنبئت أنّ رسولَ الله أوعدنـــــي *** والعفوُ عند رسولِ الله مَأمـــــولُ

مهلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ *** قرآنِ فيها مواعيظٌ وتَفْصِيـــــــلُ

لا تأْخُذَنّي بأقـــوالِ الوُشاةِ ولـم *** أُذْنِب ولو كَثُرَتْ عنيّ الأقـــاويلُ

مـــا زلتُ أقتطعُ البيداءَ مدّرعـــًا *** جنحَ الظلامِ وثوبُ الليلِ مسبـــولُ

حتّـــــى وضعت يدي لا أُنازِعُهُ *** في كفٍّ ذّي نَقِمَاتٍ قِيلُهُ القِيـــلُ

لَذَاكَ أَهـــــابُ عِندي إذْ أُكَلّمهُ *** وقيل إنك مسبورٌ ومَسْـــــــؤولُ

إنّ الرَّسُـــولَ لَسَيْفٌ يُستضاءُ به *** مهنَّدٌ من سيوفِ اللهِ مَسلـــــولُ

في عصبةٍ من قريشٍ قال قائِلُهُم*** ببطنِ مكةَ لمّا أسلموا زُولـــــــوا

زالوا فما زال أنكـــاسٌ وكُشُفٌ*** عند اللّقاءِ ولا مِيلٌ مَعـــــــازيلُ

شُمُّ العَرانِينِ أبـــــطالُ لَبُوسُهُمُ *** من نسجِ داودَ فـي الهَيجا سَرابِيـلُ

بِيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لَها حَلَقٌ *** كأنّها حَلقُ القَفْعَاءُ مَجـــــــدولُ

لا يَفرحـــــونَ إذا نالت رِماحُهُمُ *** قـــــومًا وليسُوا مَجازيعًا إذا نيلُوا

لا يقع الطّعنُ إلّا في نُحِـــورِهِم***ما إن لَهمْ عن حِياضِ الموتِ تَهليلُ

نصوص من شعر المراثي النبوية.

قال حسان بن ثابت يرثي الرسول صلى الله عليه وسلم:

بِطَـيْبَة رَسْمٌ لِلـــــــــرّسُولِ ومَعْهَدُ *** مُنِيرٌ وقَد تَعْفُو الرّسُــومُ وتـهْمَدُ

ولاَ تَنْمَحِي الآيَاتُ مِن دَارِ حُرْمَةٍ *** بِها مَنْبَرُ الهَـادِي الّذي كَانَ يَصْعَدُ

مَعَالِمٌ لَــم تُطْمَسْ عَلـَى الْعَهْدِ آيُها *** أَتــاهَا البَـلَى فالآيُ مِنـهَا تَجَدّدُ

عرَفــــتُ بِـها رَسـمُ الرَّسُولِ وعَهْدِه *** وقَبْراً بهِ وَارَاهُ فِـــــي التّربِ ملْحِدُ

ظَلَلْتُ بِها أَبْكِـــي الرَّسُولَ فأَسْعَدَتْ *** عُيــوُنٌ ومِثْلاهَا من الْجَفْنِ تَسْعدُ

مَعَ المُصْطَفَى أَرجُــو بِذَلِك جِوَارَهُ *** وفِـي نَيلِ ذَاك اليومِ أسْعَى وأَجْهَدُ

وممن بكوا النبيصلى الله عليه وسلمأبو سفيان ابن الحارث في قوله:

أَرِقْتُ فَبَاتَ لَيْلِي لاَ يَزُوْلُ *** وَلَيْلُ أَخِـــي المُصِيْبَةِ فِيْهِ طُوْلُ

وَأَسْعَدَنِي البُكَـــــاءُ وَذَاكَ فِيْمَا *** أُصِيْبَ المُسْلِمُوْنَ بِهِ قَلِيْلُ

فَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيْبَتُنَا وَجَلَّتْ *** عَشِيَّةَ قِيْلَ: قَدْ قُبِضَ الرَّسُوْلُ

فَقَدْنَا الوَحْـــيَ وَالتَّنْزِيْلَ فِيْنَا *** يـــــرُوْحُ بِهِ وَيَغْدُو جِبْرَئِيْلُ

وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَـــالَتْ عَلَيْهِ *** نُفُوْسُ الخَلْقِ أَوْ كَـادَتْ تَسِيْلُ

نَبِيٌّ كَـــــانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا *** بِمَا يُوْحَـــــى إِلَيْهِ وَمَا يَقُوْلُ

وَيَهْدِيْنَا فَلاَ نَخْشَـــى ضَلاَلاً ***عَلَيْنَا وَالرَّسُــوْلُ لَنَـــــا دَلِيْلُ

فَلَمْ نَرَ مِثْلَهُ فِي النَّاسِ حَيّاً *** وَلَيْسَ لَهُ مِنَ المَوْتَى عَدِيْلُ

أَفَاطِمُ إِنْ جَزِعْتِ فَذَاكَ عُذْرٌ *** وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي فَهُوَ السَّبِيْلُ

فَعُوْدِي بِالعَزَاءِ فَإِنَّ فِيْهِ *** ثَوَابَ اللهِ وَالفَضْلُ الجَزِيْلُ

وَقُوْلِي فِي أَبِيْكِ وَلاَ تَمَلِّي *** وَهَلْ يَجْزِي بِفَضْلِ أَبِيْكِ قِيْلُ

فَقَبْرُ أَبِيْكِ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرٍ *** وَفِيْهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُوْلُ

نصوص شعر النقائض.

قال جرير في هجاء الفرزدق:

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمّ الفَرَزْدَقِ فَاجِـــراً *** وَجَاءَتْ بِوَزْوَازٍ قَصِيرَ القَوَائِمِ

ومَا كـــــانَ جَارٌ لِلفَرَزْقِ مُسْلِمٌ *** لِيَأْمَنَ قِرْداً لَيْلُهُ غَيرُ نَائِمِ

أَتَيْتَ حُدُودَ اللهِ مُذْ أَنْتَ يَافِعٌ *** وَشِبْتَ فَمَا يَنْهَاكَ شَيبُ اللّهَازِمِ

ويقول في نقيضةٍ يهجو فيها الأخطل التغلبي:

حَـــــيِّ الغَداةَ بِرَامَةَ الأَطْلَالا *** رَسْماً تَحَمَّل أَهْلُهُ فَأَحـــالَا

قَبَحَ الإِلَهُ وُجُـــــوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا*** حج الحجيج وكبروا إهـلالا

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وكَـــذَّبُوا بِمُحمَّدٍ *** وبِجِبرِيلَ وكـــذَّبُوا مِيكَالَا

وَلَو أَنّ تَغْلِبَ جَمَّعَتْ أَنْسَابَهَا *** يـــوَمَ التّقَاضُلِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَا

إِنَّ الذِي سَمَكَ السَّمـاءَ بَنَى لَنَا *** بَيتاً دَعَـائِمُهُ أَعَـزُّ وأَطـوَلُ

بَيتاً بَنَاه لَنَـــا المَلِيكُ ومَا بَنَـى *** حَكَمُ السَّمَـاءِ فَإِنَّهُ لا يُنْقَلُ

يَحْمِي إِذَا اخْتُرِطَ السُّيوفُ نِسَاءَنا *** ضَرْبٌ تَخِرُّ لَه السَّواعِدُ أَرْعَلُ

رد عليه جرير بنقيضة أخرى من الشعر في الموضوع نفسه والوزن والقافية مطلعها:

لِمَنِ الدِّيارُ كَأَنَّها لَمْ تُحْلَلِ *** بَينَ الكَنَائِسِ وبينَ طَلَحِ الأَعْـــــــزَلِ

إِنَّ الّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنـــَى لَنـــــا *** بيتا عَلاكَ فَما لَـهُ مِن مُنقَلِ

أعْدَدتُ لِلشّعراءِ سُمّاً نـــاقِعاً *** فَسَقَيْتُ آخِـــــــــرهُم بِكَأسِ الأَوّلِ

لَمّا وضعْتُ على الفرزدق ميسم *** وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل

يقول الأخطل في إحدى نقائصه مخاطبا جريرا :

كَذَبتْك عيْنُكَ أَمْ رَأَيتَ بِواسِطٍ *** غَلَسَ الظَّلامِ مِن الرَّبَابِ خَيالَا

وتَعَرَّضتْ لكَ بـــالأَبَالخ بعْدَمَا *** قطَعَتْ بِأَبْرَقَ خُلَّةً ووِصَالَا

وتَغوَّلَتْ لِتَرُوعَنَا جِنّيَّة *** والغَانِيَاتُ يرِينَك الأَهْـــــــــوَالَا

أَبَنِي كُلَيبٍ إن عَمّيَّ اللَّذا *** قَتَلا المُلوكَ وفَكَّكَا الأَغْـلَالَا

وأَخُوهُما السّفَاحُ ظَمّأَ خَيْلَهُ *** حَتَّى وَرَدْنَ جِبَــى الكِلابِ نِهَالا

نصوص من الشعر العذري والشعر العمري.

أما جميل ابن معمر فصاحبته بثينة وقريبته يلتقيان عند جدهما ابن ربيعة وهما من بني عذرة له قصيدة دالية مشهورة يقول في مطلعها:

أَلَا لَيْتَ رَيْعَانَ الشّبَابِ جَدِيدْ *** ودَهْراً تَولَّى يَا بُثَيْنَ يَعُودْ

فَنَبْقَى كَمّا كُنَّا نَكُــونُ وأَنْتُمْ *** قَرِيبٌ وإِذْ مَا تَبذُلِينَ زَهِيدْ

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً *** بِوادِي القُرى إِنّـــــي إذاً لَسَعِيدْ

وقد تلتقي الأهواء من بعد يأس *** وقد نطلب الحاجات وهي بعيد

أمّا كثير عزة وهو أحد رواة جميل بثينة،وكان ملازما له يروي عنه الأشعار، وعشيقته عَزَّة كانت من أجمل النساء وأعقلهن، يقول فيها:

خَلِيلَيَّ هَذَا رُبْعُ عَــزَّة فاعْقِلا *** قُلُوصيكُما ثُم ابْكِيا حَيثُ حَلَّتِ

ومُسَّ تُرَاباً كَـانَ قَد مَسَّ جِلْدَها *** وبَيْتًا وَظِلّاً حَيْثُ بَاتَتْ وظَلَّتِ

وَلا تَيْأَسَا أَن يَمْحُوَ الله عَنْكُمَا *** ذُنُوباً إذَا صَلَّيْتُما حَيثُ صَلّتِ

ومن العشاق الشعراء العذريين قيس بن ذريح الليثي الكناني القائل في شعره :

لَقَدْ لَاقَيتُ مِنْ كَلَفِي بِلُبْنَى بلاءً مــا أُسِيغُ بِه الشَّرَابَـــــا

إِذَا نَادَى المُنَادِي بِاسْمِ لُبْنَى *** عَيِيتُ فَمَا أُطِيقُ لَهُ جَوَابَا

يقول عمر بن أبي ربيعة:

أمِن آلِ نُعْمٍ أَنتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ *** غَداةَ غَدٍ أَمْ رَائــــــــــحٌ فَمُهَجّرُ

لِحَاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُل جَـــــــــوابَهاَ *** فَتبُلِغُ عُذراً والَمقَالةُ تُـعْذرُ

أَهِيمُ إِلَى نُعْمٍ فَلا الشَّمْلُ جَامِعٌ *** ولَا الحَبلُ مَوصُولٌ ولا القَلبُ مُقْصِرُ

ولا قرب نعم إن دنت لك نـــافع *** ولا نأيها يسلّي ولا أنت تصبـــر

قائمة المصادر

والمراجع

- قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1- ابن رشيق، العمدة، ج1، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2001.

2- ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، تح طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2001.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة علق، ج9، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط3، 1999.

4- أبو عبيدة المثنى، نقائض جرير والفرزدق، ج1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

5- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العلمية، ط1، 1952.

6- أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط4.

7- أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، ج1، دار الساقي، بيروت، ط7، 1994.

8- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة،وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

9- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح عبد السلام هارون، القاهرة، مج1، 1942.

10- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط2، 1981.

11- حسّان أبو رحاب، الغزل عند العرب، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، ط 1، 1947.

12- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت لبنان، 1986.

13- زبير براقي، المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ديوان المطبعة الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر

14- سامي مكي، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996.

15- سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.

16- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11، 1960.

17- شوقي ضيف، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر

18- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر ط5.صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3 1987.

19- عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1968.

20- عفيف عبد الرحمن، الشعر الجاهلي حصاد قرن، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2007.

21- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج1، دار العلم للملايين، مصر، ط4، 1981.

22- غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، دار الإرشاد، حمص سوريا، ط1، 1992.

23- فيليب حتي، العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1991.

24- كمال خلايلي، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1993.

25- محمد الرابع الحسني الندوي، الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

26- محمد شمس عقاب، المراثي النبوية، في أشعار الصحابة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط1، 2013.

27- محمد صبري الأشتر، العصر الجاهلي الأدب والنصوص المعلقات، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب سوريا، 1994.

28- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في صدر الاسلام، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط1، 2008.

29- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج 2، مكتبة الإيمان مصر، ط1، 1940.

30- محمد نجيب، شرح ديوان جرير، ج1، دار المعارف، مصر، 1969.

31- واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1994.

32- الواقدي، فتوح الشام، تح عبد اللطيف عبد الرحمن، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1997.

33- يحي الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط5، 1986.

34- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 3، 1978.

- الدواوين الشعرية:

1-امرؤ القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف مصر، 1984.

2-حسان بن ثابت، الديوان، شر عبدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1994.

3-جرير، الديوان، تح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1986.

4-الحطيئة، الديوان، رواية وشرح ابن السكيت، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1993.

5-عنترة بن شداد، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1996، ص